النيل لا يتجزأ

تاريخ الجنوب الحبيب ، ماضيه وحاضره ومستقبله

واحذروا قسمة النيل فيا
ضيعة الوادى إذا النيل شطر

١ ـ الجنوب
٢ ـ المفاوضات

بقلم
أنور الجندى

دار الطباعة والنشر الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

« أن هذه أمتكم أمة
واحدة وأنا ربكم فاتقون »
قرآن كريم

النيل لن يتجزأ

بقلم فضيلة الأستاذ حسن البنا
المرشد العام للاخوان المسلمين

إذا كان بعض أبناء الوادى قد انخدع بالدعايات الأجنبية والمغريات الإنجليزية فألقى بنفسه فى أحضان الأمبراطورية يطالب بالانفصال والاستقلال اليوم ليكون السودان فريسة الانجليز فى الغد ، فمن حسن الحظ أن هؤلاء أقلية لا يقام لها وزن ، وأن الشعب السودانى فى الجنوب يدرك تماماً العوامل الخفية والدوافع الشخصية التى تدفعهم إلى مثل هذا القول ، وإذا كان البعض الآخر يتمسك بالحكومة الديمقراطية والاستقلال الذاتى وما إلى ذلك من التحفظات مع تسليمه بالوحدة وإيمانه بضرورتها إيماناً لا يرقى اليه الشك ، فان الحوادث وضرورة الكفاح اليوم والاصلاح غداً ستقنعه كل الاقتناع بأنه لامناص من الاندماج الكامل والوحدة التامة وهى على كل حال قضية بين شقيقين لا يريدان دخيلا بينهما ولا يستطيع أحد فى الدنيا أن ينكر أن الانفصاليين والمتحفظين ودعاة الاندماج والمصريين قد اتفقت كلمتهم جميعاً على المطالبة بجلاء الانجليز عن السودان فاذا كان الانجليز صادقين فى دعواهم العمل على رفاهية السودانيين وتحقيق مطالبهم فليحققوا هذا المطلب المجمع عليه وليدعونا مع اخوتنا نتفاهم وستصل إلى ما يرضى الفريقين ويؤدى إلى خير الشطرين ويريح أهل الشمال وأهل الجنوب على السواء

١٤ ديسمبر سنة ١٩٤٦

حسن البنا

النيل لا يتجزأ

نهر عذب ، شق طريقه فى هذه التربة المباركة ، فاشرقت الحياة حول مجراه ، وقامت الحضارة ، وتوطدت المدنية ، فكانت من أعظم مدنيات العالم التى قامت على مجارى الأنهار ، وكان نهر النيل ، هذا النهر الحبيب ، من أكبر أنهار العالم وثانى أنهارها

ثم جاء الاسلام الحنيف رسالة الانسانية الخالدة ، فاشرق فجر جديد على هذا الوادى ، وانبث هذا الدين فى مجراه فـآمن به الشمال والجنوب ومصر والسودان والحبشة وسواحل البحر الأحمر وقلب القارة السوداء .

هذا هو الوضع الطبيعى ، وحدة حضارية ووحدة روحية جمعت بين أطراف هذه الأمة ، ووحدت بين سكان ضفاف هذا النهر العظيم

ولكن مصر والسودان توأمين فى جسد واحد ، قد ولدتهما أمهما متلاصقين فأى عملية جراحية لفصلهما إنما فيها القضاء عليهما جميعا

* * *

تلك قضية الوقت ، شغلت السياسة العالمية شهورا طويلة ، وكانت سبب أقوى الأزمات التى كان لها أكبر الأثر فى العلاقة بين مصر وانجلترا وكانت السبب الأول فى انقطاع المفاوضات ، وقد جاءت نتيجة لهذا الاهمال العجيب لجنوب الوادى مدى نصف قرن استطاع خلالها المستعمر أن ينفث سمومه ويحطم كيان الوحدة ، وتقتل روح الأخوة وتلك كانت نية مبيتة منذ وقت طويل فى ملفات الاستعمار الانجليزى الذى فتح عينه على إذلال الأمم الحرة واستعباد الشعوب الأبية ، ولا أدل على ذلك من تصريح غلادستون فى مجلس العموم فى سبتمبر ١٨٧٧ وهو يصور الأهداف الاستعمارية فى الشرق وفى أفريقيا حيث يقول (إذا توطدت

أقدامنا فى مصر تكون هذه المستعمرة الأولى بوجه التحقيق بمثابة ذريعة لتأسيس امبراطورية شاسعة فى أفريقيا الشمالية تأخذ فى النمو تدريجيا إلى أن تدخل فى تخومها منابع النيل الأبيض بل تنتهى بدون شك بأن تجتاز خط الاستواء ليصل بمستعمرة الناتال ورأس العشم وذلك بغض النظر عن الترنسفال ونهر الأورنج)

هكذا كانت انجلترا تنتظر فى سنة ١٨٧٧ وذلك بعد مرور ٧٠ سنة على انهزام حملة فريزر التى هاجمت الاسكندريةوزحفت إلى رشيد فهزمتها قوات الجيش المصرى فى ٣١ - ٣ - ١٨٠٧ هزيمة منكرة ، وقع على أثرها الانجليز وثيقة أكدوا فيها استقلال مصر وحريتها وأدى ذلك إلى أن أيد محمد على وحدة الوادى ببعثاته الكشفية والتركيزية المتواصلة التى توغلت إلى أعالى النيل رغبة فى جعل (الوادى من منبعه إلى مصبه) فى مملكة موحدة مما أدى إلى أن يقص الانجليز جناح محمد على ويحطموا أسطوله فى نفارين، وإن كان ذلك أثر فى انتقاص أطراف المملكة المصرية إلا أنه لم يؤثر فى كيان وحدة الوادى القائمة من المنبع إلى المصب ، هذه الوحدة السياسية والاجتماعية والمائية ، يجمعها النيل ويجمعها الاسلام وتجمعها العادات واللغة والتقاليد والجو والجغرافيا إلى الحد الذى يعتبر كل انفصال بينها هلاكا لهما معا .

* * *

وقد ظلت انجلترا تتربص بالنيل الدوائر ، واتخذت من اضطراد الحوادث والأزمات والديون وسيلة إلى فرض سيطرتها على مصر ،سيطرة انتهت بالتدخل الاجرامى المكشوف بين الخديو والعرابين ومناصرة الأول برجالها الرسميين وتأييد الآخرين برجالها المدنيين ، حتى استفحلت شقة الخلاف بينهما استفحالا أدى إلى إرسال الأسطول وانتهاز الفرص

التافهة ، والاعتماد على التعللات الباطلة بضرب الاسكندرية ، وقيام ثورة عرابى ، هذه الثورة التى انتهت بهزيمته وبدخول الانجليز مصر فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ بحجة المحافظة على عرش الخديو وتوطيد الأمن فى مصر ، وقد استغلت انجلترا هذه الفرصة استغلالا عجيبا فثبتت قواعدها فى مصر ، وفرضت رأيها فى كل شىء وتدخلت برجالها فى كل وزارة ومصلحة حتى أصبح لايقضى أمر دون إرادتها ، وفرضت تهديداتها فى قالب نصائح ، ووقفت من المعارضين لآرائها وقفة الارهاب ، حتى أن جرانفيل وزير الخارجية الانجليزية أرسل انذاره المشهور يقول فيه

(إن الوزير المصرى الذى لايخضع لارشادات الممثل الانجليزى عليه أن يستقيل من منصبه وإن حكومة جلالة الملكة لواثقة من أنه إذا اقتضت الحال استبدال أحد الوزراء فهناك من المصريين سواء من شغلوا منصب الوزارة أو شغلوا مناصب أقل درجة ، من هم على استعداد لتنفيذ الأوامر التى يصدرها إليهم الخديو بناء على نصائح حكومة جلالة الملكة)

وكان على أثر ذلك قيام (الثورة المهدية) هذه الثورة التى تشابهت اتجاهاتها وأهدافها مع الثورة العرابية وكانتا معاً تمرداً على العسف والظلم الذى كانت تتسم به الحياة فى مصر وفى السودان على السواء ، فكان هذا تجاوباً وتمرداً ورغبة فى الكفاح والتحرر

ولقد استغلت انجلترا الظالمة الاستعمارية الثورة الأولى بأن أحتلت مصر وحققت أملا طالما لعب بلبها ورغبت اليه واستغلت الثورة الأخرى فى التمكين لقواعد الاستعمار فى جنوب أفريقيا وفى جنوب وادى النيل

ذلك لأن انجلترا كانت ترمى إلى عدة أغراض من وراء هذه اللعبة السياسية الجبارة ، هى أن تمكن لمستعمرتها فى جنوب أفريقيا من ناحية والتمسك بعنق مصر من ناحية منبع النهر فتجعلها دائماً متقيدة بها ، وتظل

فى قبضتها ولا تستطيع أبداً أن تقف فى طريقها أو تناوئها وقد صرح المهندس العالمى الكبير السير سكوت منكريف فى أول اكتوبر سنة ١٨٩٥ فقال :

(إذا ما وضعت أمة متمدينة يدها على أعالى النيل ستقيم سدوداً فى طريق رسول فيكتوريا نيانزا (النيل) لتنظيم ماء هذا البحر الخضم وضبطه ، وتلك أعمال سهلة الاجراء إذا ما حققت مرة فيما يجرى فى النيل يكون وفقا لرغبة هذه الأمة المحتلة فاذا ما جر سوء الحظ مصر التعسة لحرب هذه الأمة فانها تكون عرضة للغرق أو للجذب والقحولة حسب ما يشتهى خصمها وغزيمها) وهكذا كانت الدنيا مستيقظة تتربص بنا وبالنيل الدوائر ونحن غافلون

ولقد تبين بجلاء مدى هذه النية السوداء المبيتة لنا فى تصريح ملنر لسعد زغلول فى المفاوضات الأولى (إننا الآن فى مصر واضعون يدنا على كل شىء ونريد أن نتخلى عنها فى مقابل شىء واحد هو أن تعترفوا بمركزنا فيه لأنه الآن فعلى ونريد أن يكون شرعياً مستنداً إلى قوة عسكرية نحن نبحث عن مصر منذ أكثر من مائة سنة وهى الآن فى قبضتنا فعلا ونريد أن يكون مركزنا فيها شرعياً بقبولكم)

ولذلك سعت انجلترا منذ اليوم الأول على أن تمزق هذه الوحدة تمزيقاً لا يدع لها نصيب من الحياة أو الاستقامة وان كانت لم تستطع ذلك بالرغم من المحاولات الطويلة التى استمرت نصف قرن

فقد رتبت خطتها الإجرامية على أن تنقل الأمر من وحدة إلى مشاركة توطئة لأن تنفرد هى بالسودان ، فى الوقت الذى فصلت فيه شمال السودان عن جنوبه حتى إذا استيقظ هذا الشمال أمكن أن يتحرر أو

يتوحد ، أما الجنوب فيظل محبوساً فى أقفاصه عن النور والهدى رغبة فى ضمه أخيراً إلى مستعمرة جنوب أفريقيا

تلك هى نية الاستعمار الانجليزى ولـكنها ستخيب وستخبو لأن انجلترا كانت تظن أن الدنيا ستظل لها عيـــداً ، وها هى الأيام تقنعنا بأنها أصبحت هزيلة ضعيفة فى مؤخرة الأمم وقد خرجت من هذه الحرب مدينة محطمة وستكشف الأيام وتظهر للعيان أنها سائرة فى طريق الانهيار ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قد استيقظت الأمم العربية والاسلامية يقظة لا خمود لها ، وأتقدت روحها واشتعلت وأمنت بحقها فى الحرية وهى تزحف إلى حقوقها زحفا متصلا ، وتكدح فى سبيل ذلك كدحا لاهواده فيه ولا ضعف معه

بدأت انجلترا مؤامرتها على وحدة وادى النيل بطلب إخلاء السودان فكان هذا صدمة عنيفة لم تنكب مصر بمثلها ، ذلك لأن الانجليز انتهزوا فرصة سيطرتهم على مصر فأرغموها على هذا الاخلاء السودان ، وذلك أمر لم يحدث فى تاريخ الدنيا ، وقد استقال لذلك شريف باشا ورفض قبول إخلاء السودان ، وقال كلمته المعروفه الذائعة ، إذا تركنا السودان فان السودان لا يتركنا ؛ ثم فرض الانجليز نصائح (جرانفيل) وقبل نوبار إخلاء السودان ، فى الوقت الذى كان للقوة المصرية العسكرية هناك القدرة الكافية على إخماد أى ثورة أو فتنة لو أمكن توجيهها وقيادتها لأنها كانت تبلغ ٢٥ ألف جندى ، ولـكن الانجليز الذين يسيرون وفق خطه معينة رغبة فى التهام السودان ، فرضوا رأيهم فى افصاء القائد البطل (عبد القادر باشا حلمى) وأحلوا محله (هكس باشا) هذا الرجل الانجليزى الذى كان الانجليز يرمون من وراء تنصيبه قائدا آ ثاره الفتنة بين المسلمين من المصريين الذين يقاتلون المسلمين من السودانيين

ثم تنفذ مهمة هذا الاخلاء بإرسال غردون ، هذا المجرم الاستعمارى الذى نادى أول ما نادى بكلمة (السودان للسودانيين) رغبة فى أثاره روح الفتنة وما زالت هذه الكلمة إلى الآن من كلمات القاموس الاستعمارى التى تفرق دائما بين أهل الشمال وأهل الجنوب من سكان وادى النيل

وعاد الانجليز بعد ثلاثة عشر عاما فأمروا مصر (باسم النصيحة) أن تعود إلى السودان وقد دبروا من وراء ذلك دسائس عجيبة لا يصل إلى فهمها إلا الذين عرفوا ماترمى اليه ، فقد قادوا الحملة وسيطروا عليها فأصبح جنودها مصريين وقادتها انجليز وبذلك عرضوا الجيش المصرى للقتل والحرب والتضحية ، ومكنوا لأنفسهم بالسلطان والسيطرة

وقد رمى كتشنر إلى أعراض عدة ، بسط الخط الحديدى السودانى بسواعد المصريين ودمائهم ورجالهم ولكنه صنعه من نوع آخر أضيق من الخط المصرى حتى لا تستطيع القطر المصرية فى مقتبل الايام أن تجرى قطاراتها على خطوط السودان

وفى ذلك مرمى عجيب من مرامى الفصل بين مصر والسودان ، زيادة على تأكيد هذا الفصل بإقامة منطقة عبور فى النيل بين الشلال وادفو حتى تزيد علامات الانفصال الصناعية بين ساكنى ضفاف النيل .

واستطاع كتشنر أيضا أن ينفذ غرضا آخر من أغراض التمزيق وتأكيد الغرض الانجليزى ذلك هو انتهاز فرصه زيارة (جرنفيل) لمعسكر الجيش فى أم درمان فاقام العلم الانجليزى على خيمته واعتذر عن ذلك بأنه قائد الجيش الانجليزى وان هذه علامة الاستدلال على مكانه ولكن العلم ظل قائما يرفرف بعد رجوع جريفنل ثم رفع العلم الانجليزى مفاجأة على سراى الحاكم بالخرطوم باسم الحداد على روح غردون لمدة سبعة أيام واستمر مرفوعا بجوار العلم المصرى منذ ذلك اليوم ، وقبل توقيع الإتفاقية المشئومة .

هذا ما صنعه كتشنر قائد الجيش فى الوقت الذى كان فيه موظفا مصريا

وبهذه الصفة العجيبة وبهذه الصورة الغريبة دخل الانجليز السودان ، ومكنوا لانفسهم واسموا انفسهم شركاء ، وهم فى الحق دخلاء بين اخوين شقيقين ، ولقد كانت مناورة (الاخلاء والعودة) من أبرع المناورات السياسية الاستعمارية إذ جعلوها حجة يوغرون بها صدور اخواننا فى الجنوب إذ يصورونا أمامهم بصور المستعمر والمسيطر والمحتل ، فى الوقت الذى لم يكن فيه بين مصر والسودان سيطرة أو احتلال ، وأنما هى وحده قائمة مزقتها الانجليز ، وخلقوا منهما صورتين منفصلتين وأوسعوا الهوة بين الشمال والجنوب . فصوروا لاخواننا السودانيين انهم جنس قائم بذاته منفصل عن مصر ، وان مصر جنس آخر . وان المصريين كانوا أبدا مستعمرين فتحوا السودان فى عهد محمد على ، وفى عهد اسماعيل ، وبالاشتراك معهم ، وصوروا انفسهم للسودانين انهم رسل السلام ، وانهم حماه السودانيين من جور المصريين . وأنهم كانوا دائما انصار الضعفاء من بطش الاقوياء ، وانهم يرمون إلى الاستقلال السودانيين بالسودان وجاءت الضربة الثالثة المترتبة على ما مضى .

وكانت - بالطبع - اتفاقية ١٨٩٩ المشئومة التى انتهز الانجليز فرصة الضعف فوقعوها فى عهد وزارة مصطفى فهمى وكان وزير الخارجية بطرس غالى . هذه الاتفاقية التى وقعت سراً بين بطرس غالى وكرومر ولم يعلم بها رئيس الوزارة ولا الخديو ولا الوزراء إلا بعد توقيعها . هذه الاتفاقية التى لم تدرس ولم تبحث ولم تعترض مصر الرسمية على نص من نصوصها أو بند من بنودها . بل لم تعترض عليها جملة إلا بعد توقيعها .

هذه الإتفاقية التى جعل الانجليز لهم بها حقا فى إدارة السودان وفى رفع العلم الانجليزى بجوار العلم المصرى ، وفى تعيين حاكم للسودان يختارونه هذه الاتفاقية التى استغلها الانجليز اسوأ استغلال وحملوها أكثر مما تحتمل وجعلوها خطوة إلى مستقبل مدبر منظم لم ينتظر الا الوقت القليل

حتى جاءت ثورة ١٩١٩ ، وجاء العهد الجديد ، وبدأت المفاوضات بين مصر وانجلترا ، وأقصيت مسالة السودان عن نطاق هذه المحادثات ، وقبل سعدزغلول هذا ورضى به ، واستمرت انجلترا تنفرد بحكم السودان وحدها ماعدا بعض قوات من الجيش المصرى باقية هنا وهناك وكانت تصريحات الانجليز فى خلال هذه الفترة والطويلة تؤكد الصلة بين مصر والسودان وتؤكد وحدة وادى النيل ، وهناك تصاريح رسمية ماتزال محفوظة لكرومر وغيره فى هذا المعنى ، ولكن هذا كان ذراً للرماد ، ودفعا للشبهة وإنامة للمسألة حتى لاتعلن ولا تبحث ، وحتى يتمكن الانجليز من تنفيذ خططهم التى تحتاج إلى وقت طويل

ثم جاءت تصريحات المسئولين من الانجليز فى سنة ٩٢١ ، ٩٢٢ تبين أن اشتراك الانجليز مع المصريين فى حكم السودان يترتب عليه لأنجلترا هناك التزامات وأن هذا العهد الجديد ، كان عهد استقلال وعدالة واطمئنان بعد عهود الفوضى والظلم والاعتساف

حتى إذا جاء الوقت المناسب ضرب الانجليز ضربتهم الحاسمة فقتلوا السردار واتهموا به المصريين واستغلوا هذه المناسبة العجيبة ففرضوا على مصر دفع نصف مليون جنيه وإخلاء السودان من الجنود المصريين والمواطنين وزيادة المساحات التى تزرع فى الجزيرة إلى حد غير مقيد

وكانت هذه أخطر المواقف فى تاريخ علاقة الشمال بالجنوب ، وقد توقف الجيش المصرى وأضرب عن السفر إلى مصر لولا أن أرسلت اليه تعليمات أخرى إذ ذاك اضطر على أثرها إلى أن يترك الجنوب آسفا

ومنذ سنة ١٩٢٤ إلى اليوم والانجليز ينفذون فى حرية مطلقة خططهم فى السودان ، خطط خلق الخصومة بين أهل الشمال والجنوب ، وتأريث الصدور بالكراهية والحقد ، وفصل مصر عن السودان فصلا فعليا وتثبيت

دعائم الاستعمار الانجليزى تثبيتا عمليا وخلق طائفة من الأنصار والأعوان تتمشى مع دعوة الانفصال وتمنية بعض الأنصار هناك بالوعود البراقة

وقد أدى ذلك إلى خلق زعماء مناصرون ، أمكن بتوالى الأيام أن تعظم ثرواتهم وتضخم حتى ينافسوا غيرهم من دعاة الوحدة والارتباط مع مصر

ومنذ سنة ١٩٢٤ إلى ١٩٣٠ ومصر لا تستطيع أن تفتح باب المسألة السودانية فى مفاوضة من المفاوضات ، وإذا عرض أمر السودان ـ كما حدث فى مفاوضات ١٩٣٠ قال هندرسون (إن ماوقع فى السودان فى السنوات الأخيرة ما يزال ماثلا فى الأذهان) فقد كان الانجليز يعتبرون أن حوادث سنة ١٩٢٤ الباطلة التى برئت مصر منها أمام القضاء ، لاتزال فى سنة ١٩٣٠ فى نظر الانجليز المغرضين سببا لقفل باب المناقشة فيها ، ومن هذا يتجلى مدى مارمى إليه الانجليز من طرد المصريين من السودان واستئناف وضع جديد ، ظل هذا الوضع خافياً عنا وقتا طويلا ، ماعدا بعض ظواهر كانت تبدو كوميض النار تحت الرماد حتى عقدت معاهدة ١٩٣٦ الظالمة الجائرة ، التى أقرت وضع السودان القائم ، وأكدت اتفاقية ١٨٩٩ الباطلة واستبقت لحاكم السودان سلطانه الديكتاتورى غير الشرعى فى جنوب الوادى وإن كانت هذه المعاهدة قد أكسبت مصر مشاركة فى إدارة السودان وحقوقا فى حكومته ـ هذه الحقوق التى أغفلت إغفالا عجيبا ، وتنوسيت ولم تستعمل ولم يقم من الحكام المصريين خلال هذا الوقت الطويل من يطالب بتنفيذها أو يعمل على إقرارها عملياً ، تحت ضغط هذه الحزبية الظالمة التى ابتليت بها مصر فشغلت نفسها ، وشغلت بالمشاحنات والمضاربات والمناورات والمؤامرات بين الأحزاب والزعماء شغلا استغله الغاصب فأغفل من حسابه علاقة الشمال بالجنوب ، وانتهز

الفرصة فعمل ماوسعته الفرصة على تجنيد الرجال لفكرته ، والعمل لهدفه فى غفلة من المصريين المشغولين بأحزابهم ، المتكالبين على كراسى الحكم

ولو أن المصريين قد استعملوا حقوقهم فى الهجرة والتجارة والملكية بالسودان ، لكان ذلك وسيلة إلى خلق معسكر للدعوة الاتصالية ولوحدة الوادى ، ولكان من وراء هذا المعسكر قوة تضاهىء أضاليل حاكم السودان ودعاة الانفصال وترد عليهم وتقارعهم الحجة بالحجة ـ وتثبت زيادة على ذلك ـ لأهل الجنوب مدى حب أهل الشمال ومدى رغبتهم فى العمل لخير الشمال والجنوب معا ، وتوضح لهم الحقائق الواضحة الناصعة التى أفسدها انفراد الانجليز بإداره السودان وحكمه مما ترك الأثر فى بعض النفوس ومما كان له أبعد الأثر بعد ذلك فى قوة دعاة الانفصال والتمكين لهم

هذا مع العلم ، بأن دعاة الاتصال العقلاء والمثقفين الذين عرفوا منتهى قوة هذه الرابطة وأمنوا بأنها طبيعية لازمة لاشك فيها ولا محيص عنها والذين لم يستطع الغاصب اغرائهم بالنضار والوعود البراقة، هؤلاء كانوا قد تمكنت لهم أيضا قواعد أشد صلابة وأشد بأسا من أعدائهم وخصومتهم ، ذلك لأنهم على الحق الواضح المنطق البين

وقد كانت سنى الحرب أظهر سنى العمل وانكشاف هذين المعسكرين المختلفين ، فعندما ظهر مؤتمر الخريجين سنة ١٩٤٢ خلق الانجليز المجلس الاستشارى وحزب الأمة .

وهكذا دارت رحى معركة عجيبه بين دعاة الاتصال والانفصال ، دارت أولا فى بطأ، ثم اشتدت بعد أن وضعت الحرب أوزارها وبدأت مصر تنظر فى أمر معاهدة ٩٣٦ وحضر وفد السودان إلى مصر ، عندئذ ظهر أنصار حرب للامة ودعاة الانفصال ولمعت أسمائهم . وطاروا إلى لندن عندما طار إليها وفد السودان من دعاة الاتصال ، وأهمل للانجليز وفد الاتصال إهمالا معيبا دل على مدى اصرارهم على سياستهم وعدائهم لوحدة وادى النيل ، عداء حال بين مقابلة وزير الخارجية الانجليزية لزعيم السودان

فى الوقت الذى دعا الانجليز فيه الانفصاليين واستغلوهم واهتموا بهم وملاؤا أعمدة الصحف كلاما عنهم وعن اتجاههم

* * *

فصل الانجليز بعض مناطق فى الجنوب وأسموها (المناطق المقفلة) وحالوا بين الوطنيين من سكان شمال السودان وبين السفر إليها إلا بتصريح خاص مع تحديد مدة الاقامة . واعتبروا أن هناك فوارق بين سكان الشمال وسكان الجنوب ، وخلقوا فيما بين أهل الشمال وأهل الجنوب من السودان فتنا وخصومات مثل ماخلقوا بين مصر والسودان ، وتركوا لبعثاتهم التبشيرية حرية العمل فى هذه المناطق المقفلة يعلمون الناس المسيحية والانجليزية معا ويحرمون عليهما العربية والاسلام ، ويضطهدون المسلمين ويمنعونهم من الصلاة العلنية

ومنذ الوقت التى نادى فيه غردون بكلمته (السودان للسودانيين) ولا تزال هذه الكلمة عنوان الدعاية الانجليزية فى العمل على فصل شمال الوادى عن جنوبه ، وخلق الخصومة العنيفة بين مصر والسودان ،وخلق طبقة خاصة فى السوان تدعو إلى الانفصال عن مصر

ولقد لقنوا هذه الطبقة كلمات عجيبة استعملها الانجليز فى كتاباتهم وتصاريحهم الرسمية كعبارة (السودنة) والرفاهية فى الوقت الذى دسوا فيه فى الوثائق المصرية السودانية منذ توقيع اتفاقية سنة ١٨٩٩ المشئومة عبارة (السيادة) وقد ألحوا أيضاً على عبارة (الفتح) وجعلوا من هذه العبارات وسائل إلى تأريث الخصومة والخلاف بيننا وبين اخواننا فى الجنوب ، واعتبروا انهم حماة السودان وانهم هم المدافعون عن استقلاله ضد مصر ، وانهم هم الذين يعملون على تخليص السودان عن مصر ، وخلق كيان خاص له تهيئة أهله للحكم الذاتى وتوجيههم إلى الحرية ، وقد دعاهم ذلك إلى اثارة

أشياء غريبة كالاستفتاء فى تقرير المصير وخلق قانون الجنسية السودانية ، وازماعهم عمل دستور سودانى خاص

والاستعمار الانجليزى من شأنه دائماً أن يوقظ القوميات ويخلق الأحزاب ويشجع حركات الانفصال والتمزيق ويعين المذاهب القديمة والفرق المندثرة على الظهور مرة أخرى، رغبة فى خلق جماعات كثيرة منفصلة متضاربة

وقد خطا الانجليز هذه الأيام خطوة جديدة ادرجت فى تصريح السفارة الانجليزية الذى صدر فى ٢٧ - ١ - ١٩٤٧ ، ذلك هو تمثيل السودان فى المفاوضات المقبلة ومعنى هذا إبراز الشخصية السودانية وفصلها تماما ، وبذلك يتفاوض مصريين وسودانيين وانجليز

* * *

تلك قضية وادى النيل موجزة وقد فصلناها فى الفصول القادمة ، ونحن إذ نعرضها وهى على هذا الوضع ، وبين هذه السحب القاتمة والدعايات الباطلة والاتجاهات الاستعمارية العجيبة . إنما نؤمن بأن النيل لا تتجزأ وأن وحدته لن تصاب بسوء أو أذى وأن دعاة الوحدة والاتصال أقوى عوداً وأصدق دعوة ، وهم على الحق ، ولن نحمل كثيراً على إخواننا دعاة الانفصال فمن الجائز أن يكونوا قد اقتنعوا بدعايات انجلترا الباطلة تحت تأثير الاستماع إلى جانب واحد ، ونرجو أن يكون فى الحوادث القائمة وما تكشف عنه الأيام المقبلة ما يدعوهم إلى الإيمان بالوحدة والدعوة لها

ذلك لأن كل دعوة للانفصال بين شمال الوادى وجنوبه إنما هى دعوة إلى التمزيق والشرية تهى أثرها بالاساءة لمصر والسودان على السواء

النيل لا يتجزأ ، ولن يصلح مستقبل مصر ولا مستقبل السودان إلا بالاتصال الدائم بينهما والوحدة الدائمة

وبعد فاننا لا نؤمن إيمان السياسيين ولا إيمان الانفصاليين وإنما نؤمن إيمانا وطنيا كاملا

نحن لا نؤمن بما يؤمن به الساسة المصريون والسوادانيون من أن تقوم حكومة فى السودان على أن يظل التمثيل الخارجى والجيش وما إلى ذلك مرتبط بالتاج المصرى

ولا نؤمن بايمان الانفصاليين فى التخلص من مصر ومن الوحدة والعمل على خلق جنسيه سودانية مستقله لها عرش ووزارة وبرلمان ودستور وانما نؤمن ايمانا عاليا رفيعاً . ايمانا وطنيا صادقا بوحدة الوادى كله تحت تاج واحد ، وحكومة واحدة، وبرلمان واحد، وتمثيل خارجى واحد . وجيش واحد على أن يكون السودان جزء من الوادى شأنه شأن مديريات الوجه القبلى والبحرى هذا ايماننا لا نحيد عنه ولا نعتقد إلا انه الخير الكامل والشامل .

النيل لا يتجزأ مهما أراد المغرضون والاستعماريون والظالمون

النيل لا يتجزأ لإنه الوحدة الطبيعية التى خلقها الله واوعدها ورضيها

النيل لا يتجزأ فعلى ضفافه قامت أعظم الحضارات فى العالم القديم .

النيل لا يتجزأ فانه قد استجاب للدعوة الاسلامية وآمن بها فجمعت بين شطريه برباط وثيق لا ينفصل .

النيل لا يتجزأ ، فالمصريون والسودانيون وحده لاسبيل لانفصامها وحده بالروح والجسد ، وبالاجتماع والتاريخ ،وبالدين والدنيا ، وبالطبيعة والجغرافيا .

النيل لا يتجزأ ولن يتجزأ مهما أراد الاستعمار ذلك وسعى إليه

فعلى ضفاف النيل رجال يعملون ، وأسود لايهابون ولايخشون أحداً إلا الله من أراد وحدتهم بسوء قصمه الله ، ومن كاد لوحدتهم بتمزيق مزقه الله وهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير ؟

[signature]

تاريخ ... الجنوب

١ — دسائس الانجليز

٢ — الثورة المهدية وإخلاء السودان

٣ — العودة إلى السودان

٤ — إتفاقية ١٨٩٩

دسائس الانجليز

آمن محمد على منذ اليوم الأول بأن وحدة النيل لا تتجزأ فعمل على تأمين منابع النيل وتوحيد الأوضاع والتنظيمات الحكومية والاجتماعية من منبع النيل إلى مصبه ، وكان فى ذلك بعيد النظر

فنظم البلاد وحددها إلى مديريات وإنشىء العاصمة الخرطوم سنة ١٨٨٢ وجعل من البحر الأحمر بحيرة مصرية والغى تجارة الرقيق وقد تقدمت هذه هذه البعثات التى سميت خطأ بالجيوش إلى دارفور سنة ١٨٧٣ وضمت هرر وبربره سنة ١٨٧٥ ومن ثم أصبحت حلقة متصلة وأصبحت مملكة النيل ينتظمها ويرضعها ، ولولا عقبات الاستعمار ودسائس الانجليز وقفت فى وجه مصر لتم لها كل خير مرتجى

وبالرغم من المحاولات الكثيرة المضطردة فان وادى النيل قد أثبت بأنه وحدة سياسية واجتماعيه لا تتجزأ ولا تنفصل يجمعها النيل ويدعمها الاسلام وتؤكدها العادات واللغة والتقاليد والجو والجغرافيا إلى الحد الذى يعتبر ان كل انفصال بينهما هلاك لها معا

ولن يستطيع زعيم مهما بلغ من قوة الحجة وسحر البيان أن يقنع الناس بأن هناك بابا لفصل وادى النيل شماله عن جنوبه ، وروحه عن جسده ، وهى صلة خالدة باقية مدعمة لاسبيل مطلقا إلى تمزيقها ، ووحدة لاسبيل إلى فصم عراها أو تجاهلها أو محاولة بترها ، وصداها يتجاوب من الجنوب كما هو فى الشمال ، يؤمن به أهلونا هناك كما نؤمن به وأشد

ولا عجب فقد تأكدت هذه الوحدة منذ الحضارات الذاهبة فى أعماق التاريخ . وعرفتها الانسانية دائما تقوم على شواطىء الأنهار وتستتبع الخصب

ثم تدعمت وازدادت قوة بالوحدة الدينية عندما أشرق نور الاسلام وزحف إلى هذا النهر الكريم فاشاع فيه الحياة والايمان والقوة وزاد من هذه الوحدة قوة ، ومن هذه الأخوة تدعيما

وفى سنة ١٨٧٠ كان الجنوب يزداد بالاسلام قوة وحياة ، وقد أدى ذلك إلى اعتناق ملك أوغنده الاسلام وبذلك تكونت مديرية خط الاستواء ، هذه المديرية التى تبدأ من فاشوده ، وقد أدى اتصال الوحدة بين مصر وبين هذه الأجزاء الأفريقية المصرية النيلية إلى إدخال نظام التعامل بالنقود

وبذلك أصبحت جميع الأقاليم المحيطة ببحيرتى البرت وفيكتوريا وحدة نيلية متصلة بمصر ، وأخذ العلماء الموفدين من مصر يضعون الخرائط الجغرافية ويرتادون بحيرة البرت نيانزا لمعرفة حقيقة منابع النيل والفيضان

* * *

فى هذا الوقت ، ومع هذا التقدم المصرى لتدعيم الدولة النيلية القائمة على تضامن الجيش الواحد ، بدأت انجلترا توفد بعض مبشريها إلى مديرية خط الاستواء سنة ١٨٧٧

وبدأت انجلترا تنظر بعين الحقد والحسد إلى هذا الامتداد للاراضى المصرية نحو الجنوب ومن ثم بدأت أوربا تتكاتف على تحطيم هذه الجهود كما فعلت من قبل مع محمد على . . ويسجل التاريخ صوراً عجيبة لهذا الحقد الأسود الذى دعى الدول الغربية للوقوف أمام النهضة ووادى النيل وأمام الدولة النيلية القائمة على الوحدة الطبيعية والجامعة اللغوية والاسلامية والمناخية

ولكن ثورة المهدى غيرت وجه التاريخ وأعطت الفرصة للانجليز

لكى تمزق هذه الوحدة ولكى تتصرف على الوجه الذى تراه ، فقد كانت مصر وأسفاه فى دور مظلم من المحنة والاحتلال وكانت انجلترا تفرض سلطاتها وإرادتها علينا فرضا وبالتالى على كل ما وقع تحت يدها من أرض وسلطان

وبدأت انجلترا تنشىء شركة أفريقيا الانجليزية سنة ١٨٨٨ لتحقيق الأغراض الاستعارية على غرار شركة الهند الشرقية تبتدىء نشاطاً تجارياً وتخفى رغبة استعارية للوقت المناسب وللفرص المتحينة

وقد كانت ألمانيا تحاول مزاحمة انجلترا فى هذه المنطقة (أوغنده) فتم بينهما توقيع عقد اطلقت فيه انجلترا يد ألمانيا فى (هليجولند) بأوربا مقابل اعترافها بنفوذها فى منطقة منابع النيل ثم وضعت أوغنده تحت الحماية الانجليزية بمعاهدة سنة ١٨٩٤

وقد اتصل ذلك التقهقر بعد ذلك ينفض يد مصر عن سواكن ومصوع وزيلع وبربره وساحل افريقيا الشرق وتحقيقا للمطامع الاستعارية تبرعت انجلترا لايطاليا سنة ١٨٨٥ بمصوع وموانى أخرى على على شاطىء أفريقيا ، ثم فرضت انجلترا سيادتها على (الصومال) وعقدت مع رؤساء القبائل معاهدات تحالف سنة ١٨٨٦ مع إعطاء إيطاليا جزءاً منه سمى (بالصومال الايطالى)

واقتطعت (ايطاليا) ميناء (مصوع) وسمى (ارتريه) كما اقتطعت انجلترا (مديرية خط الاستواء) واسمتها أوغنده سنة ١٨٩٤

وعندما حاولت (فرنسا) الاعتداء على (فاشوده) سنة ١٨٩٨ ورفع العلم الفرنسى أسرع (كتشنر) سردار الجيش المصرى (١) إلى هناك وطلب إلى (مارشان) الفرنسى انزال العلم الفرنسى ورفع العلم المصرى مكانه ، وأعلن تصريح ٢١ مارس سنة ١٨٩٩ الانجليزى الفرنسى الذى

سلمت فيه فرنسا بالانسحاب من وادى النيل على أن تنال بدلا منه حظها الاستعمارى فى شمال أفريقيا وغرب أفريقيا

ولم تكن حادث (فاشوده) الا مناورة سياسية استعمارية بارعة فقد كانت مصر قد أرغمت على أيدى بعض الظالمين من أبنائها بتوقيع اتفاقية ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ قبل ذلك بقليل ، هذه الاتفاقية التى فرضتها انجلترا فرضاً على مصر والتى فرضت فيها نظام الحكم الثنائى على الأراضى الواقعة جنوب خط عرض ٢٢ درجة شمال خط الاستواء،هذه الاتفاقية الباطلة الظالمة التى لم تعترف بها مصر والتى عرف العالم أجمع انها فرضت فى وقت محنة وضعف واستعمل فيها الاكراه

ومن هذه الملاحظات يتبين لك كيف حطمت انجلترا هذه الدولة النيلية القوية التىقامت على سواعد النيليين والتى جند لها الشمال كل القوى وحشد كل الجهود فى سبيل القاعدة الخالدة

النيل لا يتجزأ . .

الثورة المهدية (اخلاء السودان)

نعود بك قليلا إلى الوراء بعد هذا الاستطراد الذى استدعاه تصوير فكرة (تمزيق النيل) إلى ثورة المهدى التى بدأت سنة ١٨٨١، هذه الثورة التى كانت تجاوبا حتميا لثورة الشمال (ثورة عرابى) فقد كانت العوامل الداعية اليها واحده، ولم تكن فى الجنوب ابداً. كما يصورها غلاة الاستعمار. ثورة على الشمال، أو أن السيد المهدى كان يعمل على إقامة حكومة سودانية منفصلة، كما يصورونه اليوم، أو كما يحاولون أن يدخلوا فى بعض الأذهان، لتتسق ذلك مع الاتجاه المغرض الذى مازالت ترمى اليه انجلترا منذ أكثر من قرن ونصف.

كان المهدى يدعو إلى تحرير السودان من الأوضاع الاستعمارية التى لحقت بمصر والسودان على السواء، رغبة فى العودة إلى الوضع الاسلامى السليم، هذا الوضع الذى من شأنه أن يجعل العالم الاسلامى كله وحده ترمى عن قوس واحد، فى سبيل العزة والحرية، وضد الظلم والعسف، ومجاهدة الظالمين والغاصبين، وهذا ماصدر عن المهدى فى السودان، وعرابى فى مصر، وهوما حشيه الانجليز اشد الخشيه وعملوا لاخفاته بكل الوسائل

ولوكانت مصر حرة غير مستعبدة لا مكن أن تقمع هذه الثورة وأن يرد الامن إلى نصابه ولكن الانجليز أعانوا على أن تتأجج هذه الثورة وتستفحل عندما طلبوا إرجاع عبدالقادر حلمى وارسال حملة بقيادة (هكس)

كان ذلك تشجيعاً لثورة المهدى أن تستفحل وأن تزحف، ومن ثم كان ذلك وسيله للانجليز إلى مطالبة مصر باخلاء السودان وتسريح الجيش المصرى بحجه الخوف من تهديد السودان لحدود مصر.

وقد استقال شريف باشا فى يناير سنة ١٨٨٤ احتجاجا على طلب الانجليز

الخاص باخلاء السودان وقد رسم بذلك خطة المقاومة الرسمية لأول مرة منذ بدأ الاحتلال الانجليزى .

« . . . . (١) ولو وجد شريف من خلفاءه فى الحكم ما لقيه من الإباء وايثار الاستقاله الكريمة على التسليم فى حقوق البلاد لكان نصيب سياسته (أى الاحتلال) الإخفاق لامحالة ، ولكن من حسن حظ الاحتلال وسوء حظ مصر أن خلفاء شريف باشا فى الحكم لم تتبعوا القاعدة التى وضعها . بل نقضوها واتبعوا قاعدة اخرى أضاعت على مصر استقلالها وكرامتها ، وهى الاستسلام للانجليز وتنفيذ ما يأمرون به » .

وكذلك استجابت مصر ، بعد استقالة شريف ، إلى اخلاء السودان وسحبت جوشها منه وكانت الثورة المهدية قد استفحلت إذ ذاك ، وكان الجيش المصرى فى السودان ٣٢٦١٠ مقاتل .

وقد كانت (١) حجة الانجليز فى اكراه مصر على بأخلاء السودان هو عجزها عن اخماد ثورة المهدى . علما بان انجلترا حاولت بكل وسيلة تجريد مصر من الجيش الوطنى والغاءه وحل القوات الحربية والبحرية فكان لذلك أثره فى تقوية الثائرين ، وفى ضعف قدره مصر على مواجهه الثورة أو ايقافها .

هذا فضلا عن أن الانجليز كانوا يعملون على بث الفوضى فى انحاء السودان ليكون ذلك ذريعة لاضعاف قدرة مصر على المحافظة على الامن فيها ، مما يستدعى اشتراكهم فى هذه الحمايه وتثبيت دعائم الامن .

ولكن الامر اتخذ طريقا ملتويا ـ كاساليب السياسة الانجليزية نفسها، ان عملت انجلترا على أن تخرج مصر من السودان ، ثم تعود إليه معها فيكون لها حق من حقوق (الاستعمار) فضلا عما يمكن أن تعمل له

---

(١) الاستاذ عبدالرحمن بك الرافعى (ص ٩١) كتاب مصر والسودان

انجلترا من إغراء الصدور فى الجنوب على اخوانهم فى مصر ، بان تتهمهم بانهم مستعمرون وغزاه ، وانهم يعملون على ربط مستقبل السودان بهم إلى الابد ، فى الوقت الذى تعمل هى فيه على تحرير السودان من مصر و إعداده للحكم الذاتى !

* * *

وتحت تأثير هذه النيه كانت انجلترا تنظر بعين الغبطة إلى امتداد الثورة المهدية ومن أجل ذلك عارضت رغبه مصر فى إيقاف تيار هذه الثورة ، ولما رأت عبدالقادر حلمى باشا حكمدار السودان فى أوائل عهد الاحتلال قد نجح فى التنكيل بالثائرين واعادة سطوة الحكومه ، عملت على اقصائه من منصبه لتعود الثورة سيرتها الأولى ، فالسياسة الانجليزية هى ولاشك من أهم الأسباب التى ساعدت على استفحال ثورة المهدى ، تحقيقا لمطامعها الاستعمارية (١)

ومن هنا أرغمت مصر تحت ضغط الاحتلال ـ على أن تصم آذانها عن طلبات عبدالقادر باشا فى (١١-٤-١٨٨٢) فلم تتعاون معه فى ارسال القوات اللازمة لمواصلة استتباب الامن فلما شعرت أن عبدالقادر باشا سيعمل على اخماد الثورة استدعته فى (٢٠ - ١ - ١٨٨٣) . وألغت نظاره السودان ، وكانت بذلك ترمى إلى غرضين (١) العمل على زيادة الفوضى فى السودان (٢) والتخلص من بقية جيش العرابيين وابعاده عن مصر (٢) .

ثم عملت على تعيين (هكس باشا) رئيسا لأركان حرب الجيش فى السودان (وعهد اليه بقيادة الحركات الحربية ضد المهدى . فكان هذا التعيين بعيدا عن الحكمة .لأن ثورة المهدى كان لها طابع دينى ، فلم يكن من إصالة الرأى تعيين قائد أجنبى مسيحى يتولى قيادة الجيش المعد لإخمادها

(١) (مصر والسودا للاستاذ الرافعى بك ص ١٠٢)
(٢) نفس المصدر (١٠٦)

لأن مجرد هذا التعيين يثير روح التعصب فى نفوس الثوار ويزيد فى عدد أنصارهم وأشياعهم (١)

ولما تم فتح السودان أرغمت الحكومة الإنجليزية مصر على التوقيع على إتفاقية ١٨٩٩ التى تجعل السودان شركة بينهما بحق إشتراكهما معا فى دخوله ومن ثم سلمت إدارات الحكومة فى السودان لموظفين من الانجليز .

والواقع - كما بينا - أن الانجليز قد إستغلوا ثورة المهدى أوسع إستغلال وعملوا على الحيلوله بين مصر وبين قمع الثورة توطئة لتنفيذ برنامج لم يظهر منذ ١٨٩٦ أى منذ خمسين عاما إلا فى هذه الأيام ، كما سنرى .

عملوا فى سبيل إنقسام السودان على نفسه ، وإنقسام السودان على مصر ، وحاولو تسميه المصريين بالفاتحين والمستعمرين وطلاب السيادة على السودان وطلاب الماء ، رغبة فى إفساد العلاقات وبث روح الخصومة

وقد كان إخلاء السودان وضعا غير صحيح بالمرة ، وكان مؤامرة ستدنس تاريخ الانجليز مدى الحياة ، نعم ، حاول الانجليز أن تترك مصر جزءا من وطنها النيلى ليعود الانجليز اليه مرة أخرى بعد أحد عشر سنة

* * *

كانت ثورة السودان نتيجة لسوء إدارة غردون باشا مدة حكمه للسودان منذ سنه ١٨٧٧ وإثقال كاهل الأهالى بالضرائب ، وكان ذلك إعدادا لما بعده وقد إمتنع (شريف باشا) من تنفيذ (نصيحة) الاخلاء وقتئذ ، لأن السودان كان يكلف الخزينة المصرية ١٦٠ ألف جنيه سنويا فلما أرسلت انجلترا أنذارها الذى يحتم فيه ترك السودان حالا واستعفاء الوزير الذى رفض الاخلاء ، كلف بتشكيل الوزارة وأقر الاخلاء ، وعين غردون لهذه المهه وقد حوصر فى السودان وقتله الثائرن .

وقد كان هذا الاخلاء من المهازل العجيبة فى تاريخ احتلال انجلترا لمصر

---

(١) كتاب مصر والسودان ، الرافعى بك ص ٧ (١١)

فقد حرمت مصر من ثمرة الجهود التى بذلها أبناؤها ، فضلا عن تمزيق تلك الوحدة تمزيقا لا تزال أثاره بادية وباقيه , وما زالت تستعمل حتى اليوم وقد تطور هذا الإنفصال تطورا عجيبا فقد بدا حكمه ثنائيا ثم أصبح انفراديا فعليا لإنجلترا ، ثم فصل الشمال عن الجنوب فى السودان ثم سعت انجلترا وما تزال تسعى إلى سودنة السودان .

وقد سجل التاريخ أن غلادستون الإستعمارى الداهية الماكر صرح فى سنة ١٨٧٧ عن هذه النية تصريحا جزئيا قال فيه ·

(إننا إذا نزلنا مصر ، ذهبنا منها إلى السودان،وإذا ذهبنا إلى السودان مددنا أيدينا من فوق خط الاستواء إلى جنوب افريقيا واتممنا بذلك تأليف أمبراطوريتنا الافريقية) هكذا كانت تنوى انجلترا عندما فرضت نفسها على مصر لتوطيد عرش الخديو ، وهذا هو البرنامج الذى كانت تدسه فى حقيبتها ليومه . مستعملة كل اساليب الدهاء والمكر والخداع والمراوغة طيل هذه السنين الخمس والستين للوصول إلى تحقيقه .

وقد احتلت سواكن وبربره وزيلع وأغنده وأخلت مديرية خط الاستواء من الجيوش المصرية فى ١٠ ابريل ١٨٩٩ ، وأعطت هرر للحبشة ومصوع لايطاليا .

* * *

ولنعد قليلا إلى الوراء ..

بعد انتصار المهدى وهزيمة الجيش المصرى فى موقعة (كيشان) فى ٥ - ١١ - ١٨٨٣ سر الانجليز لأن بذره التدبير الاستعمارى كانت قد بدأت تؤتى أكلها فقد هلكت حملة (هكس) وأصبح ذلك ذريعه لتنصح انجلترا لمصر باخلاء السودان .

وقد ابلغ كرمر للخديو توفيق تعليمات انجلترا باخلاء السودان وسحب

الجيش المصرى منه وقد وافق الخديوى ، ولكن شريف باشا رفض رفضا باتا وأبان بأن(التخلى عن السودان يضر بمصالح مصر ، سياسيا واقتصاديا) ص ١٢٤ ـ مصر والسودان ـ للاستاذ الرافعى بك ، ولايزال التاريخ يذكر كلمة شريف باشا الخالدة (إذا تركنا السودان فان السودان لا يتركنا) وقد آثر الاستقالة وبين فى كتابه الرسمى انه مستقيل احتجاجا على سلخ السودان من مصر ، وعلى تدخل الانجليز فى شئون مصر واعتدائهم على استقلالها .

ثم سحبت الجالية المصريةوالاوربية من الخرطوم وبدأ ترحيل المدنيين وكان الجيش المصرى المعسكر هناك حوالى ٢٥ الفا بكامل عدتها وسلاحها

وفى ذلك يقول الرفعى بك (وفى الحق أن اخلاء السودان كان أمراً منكراً وعملا خطيرا فى ذاته وعواقبه ، فهو اشد ضربة أصيبت بها مصر بعد الاحتلال الانجليزى ، بل يكاد يعدل الاحتلال فى خطورته ومضاره . لان الانسحاب من السودان معناه ضياع الامبراطورية العظيمة التى ضحت مصر فى سبيل تأسيسها بعشرات الالوف من ابنائها وملايين الجنيهات من اموالها وجهود عشرات السنين من تاريخها) :

ونتج عن هذا بالطبع أن تخلت مصر عن العمارات والحصون والترسانات والثكنات والمبانى وكانت النتيجة أيضا أن ساءت الأعمال التجارية وتعطلت

وأغلق حوالى ثلاث آلاف بيت اقتصادى للمصريين والف للاوربين وتعطلت بضائع كانت على اهبه التصدير قيمتها مليون جنيه .

ذلك لأن انجلترا كانت (١) تنوى اكراه مصر فى التخلى عن السودان واخلاؤه من الموظفين والجنود المصريين ثم استرداده لصالح انجلترا وحدها وهى بذلك عمدت إلى هذا التصرف العجيب لينقضى ظل الوحده بين شطرى

(١) المرجع كتاب الرافعى بك (مصر والسودان)

الوادى . ولتنقص هذا القطر من اطرافه فتوزع منه شمالا ويمينا . وليصبح لها بعد ذلك الحق فى السيطرة على السودان باسم الحكم الثنائى .

وقد عهدت مهمة الاخلاء إلى غردون الذى كان يرى من قبل خطأ فكرة اخلاء السودان ويقرر بانه لاخطر هناك من ثورة المهدى لا على مصر ولا على السودان نفسه لو وجهت الحامية المصرية توجيها منظما مدعما .

ويقرر المؤرخون المنصفون أن مهمة غردون الحقيقية كانت بسط الفوضى والخلل فى السودان . والقضاء على الوحدة بين شطرى الوادى ليسهل على الانجليز الاستحواذ عليه بعد انفصاله من مصر (١٣٢ نفس المصـــدر) .

ثم أخذ الانجليز فى احتلال ما يتخلى عنه المصريون ، فقد احتلوا (سواكن) فى فبراير سنة ١٨٨٤ وكان هذا بالبطع تكذيبا عمليا لفكرة الاخلاء ، التى تنتهى باستقرار الانجليز فى الاماكن التى تخليها القوى المصرية

وقد أدى هذا الوضع الجديد ، وضع الاخلاء ـ إلى أن أصبحت مواقع المهدى ، سببا فى سقوط كثير من الجيوش المصرية صرعى ضعف القيادة واضطراب الاتجاه

وقد أدى سقوط الخرطوم فى يد المهدى ، أن جعلت حدود مصر الجنوبية وادى حلفا وأخلت (دنقلة) ثم نقلت الحدود بعد ذلك شمالا إلى (كوشة) وفصلت البلاد التى بين السودان ووادى حلفا وأصبحت محافظة تحت الأحكام العسكرية

وقد سلمت (مصوع) للايطاليين سنة ١٨٨٥ بعد أن أخلاها الجيش المصرى وهى من حدود مصر ولم تكتف بذلك بل استولت على الارتريه ورأس جردفون

واستولى الانجليز على محافظتى (زيلع) وبربرة ١٨٨٥ ، واستولى الفرنسيون على (تاجورة) (جيبوتى)

* * *

وباسم تطهير الجنوب من تجارة الرقيق التى قام على آدائها (غردون) نكل بالجلابة وآلهم وذويهم وطفق يقضى عليهم بالاعدام ومصادر أموالهم ويستصفى أملاكهم)

(ص - ٤٤ - ضحايا مصر)

ذلك لأنه يعرف أن هؤلاء التجار هم الذين يذيعون الاسلام فى كل مكان ينتقلون فيه . وأنهم هم دعاة الوحدة والأخوة والتفاهم ينتقلون من مكان إلى مكان فيرتبطون بالصداقات وأحيانا بالقرابة والنسب ،وأخرى بالمعاملة والتجارة ، وهم فى حركاتهم جنوبا وشمالا وشرقا وغربا فى أنحاء السودان ، أداة من أدوات الدعوة الاسلامية ، تتفتح لهم الأذهان ، وتيسر للذين لم يصل إليهم هذا النور أن يتعرفوا إليه ويؤمنوا به

ومن الطبيعى أن هذا يزعج الانجليز الذين يطمعون فى أن يجعلوا جنوب السودان مباءة للتبشير . وقد صحت نيتهم هذه بعد قليل ، بعد توقيع اتفاقية ١٨٨٩ وطرد المصريين من السودان ١٩٢٤ على فصل الجنوب عن الشمال وأخذوا يبيحون لبعثاتهم ، فى تلك الاصقاع ، نشر المسجيه دنيا والانجليزية لغة لهؤلاء السذج الفطريين

العودة إلى السودان

عمل الانجليز على العودة إلى السودان بالمشاركة مع مصر أسما، فى الوقت الذى شعروا فيه بضعف (التعايشى) وحينما توجسوا خيفة من أن يسبقهم الفرنسيون إلى احتلال أعالى النيل

وفى ١٢ - ٣ - ١٨٩٦ وصل أمر انجليزى إلى كتشنر بالقيام بحملة على السودان، ومد شبكة السكك الحديدية التى تبلغ طولها ٢٤٠٠ كيلو متر وإنشاء الطرق والمواصلات النيليه وما ان وصل كتشنر إلى السودان حتى أذاع خطابا سفه فيه المهدى والتعايشى واتهم الأول بأنه فسر القرآن برأيه ومنع الحج واستنبط الأحكام الشرعية وفق هواه ومنع قراءة كتب الحديث والتفسير

وهو منشور كله أكاذيب يراد بها اثارة النفوس ضد دعوته وضد خليفته التعايشى وقد جاء فى هذا البيان أن العودة إلى السودان هى باسم مصر (ولما رأى الخديوى عباس حلمى الثانى أن جرائم هذه الطاغية تزداد يوما فيوما أخذته الشفقة على المسلمين المظلومين وصمم على انقاذهم من الظلم، فأرسل جيوشه المظفرة لكى تهدم أركان دولة التعايشى وتقيم حكومة شرعية مؤسسة على العدل والاستقامة . . وقد أصدر سموه عفوه التام عن جميع ذنوبكم وأمر برد أملاككم . . وباسمه لى الرجاء الوطيد أن أراكم قريبا طائعين معضدين للحكومة الخديوية . . فى (يونية سنة ١٨٩٦)

ومن ثم أصبحت إدارة الجيش فى السودان انجليزية من قومندان إلى رئيس قلم المخابرات إلى مديرى التعيينات والسوارى والهجانة والطوبجية والبيادة.

وقد تعقب (كتشنر) التعايشى وقتله فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ (وقد استقبل التعايشى وصحبه الموت بجنان ثابت وقد نزع وطمس جبة التعايشى وسيفه من جثته ثم دفن فى حفرة فى المكان الذى قتل فيه وكانت الجبة ملطخة بالدم وممزقة بالرصاص ولما علم بعض اتباع التعايشى بموته سلموا (عن كتاب السودان للاستاذ عبد الله حسين)

وعين ونجت سرداراً للجيش المصرى وحاكما على السودان فى ٢٢ - ١٢ - ١٨٩٩ خلفا لكتشنر

إتفاقية ١٨٩٩ المشئومة

نصوص

(١) يطلق لفظ السودان (١) الأراضى التى لم تخلها قطر الجنود المصرية منذ سنة ١٨٨٢ (٢) الأراضى التى كانت تحت إدارة الحكومة المصرية بالاتحاد (٣) الأراضى التى قد تفتحها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الآن فصاعدا

(٢) يستعمل العلم الانجليزى والعلم المصرى معانى البر والبحر بجميع أنحاء السودان ماعدا مدينة سواكن فلا يستعمل منها إلا العلم المصرى فقط (فى الاتفاقية الثانية اخضعت سواكن لما خضعت إليه السودان)

(٣) تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية فى السودان إلى موظف واحد يلقب (حاكم عام السودان) ويكون تعيينه بأمر عال خديوى بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ولا يفصل إلا بأمر عال خديوى مصدر برضاء الحكومة الانجليزية(١)

---

(١) هناك مواد أخرى عن بقاء السودان تحت الأحكام العرفية ومنع دخول السودان .

(٤) القوانين وكافة الأوامر واللوائح يجوز سنها أو تحويرها أو نسخها . . بمعرفة الحاكم العام وعلى الحاكم العام أن يبلغ على الفور جميع المنشورات التى يصدرها من هذا القبيل إلى وكيل قنصل جنرال الحكومة الانجليزية بالقاهرة . وإلى رئيس مجلس النظار للجناب الخديوى

(٥) لايسرى على السودان أو على جزء منه شيء ما من القوانين أو القرارات الوزارية المصرية

(١) لم يسمع الناس بهذه الاتفاقيه إلا بعد أن أبرمت ووقعها بطرس وكرومر ، والثابت بلا ريب أن أعضاء الوزارة لم يعرفوا هذه الاتفاقية حتى نشرت عليهم فقرأوها كما قرأها قراء الصحف ، وأن الحديث فى شأنها لم يكن على صورة مفاوضة أو مباحثة وإنما كان على سبيل الاخطار

(٢) وقعت هذه الاتفاقية تحت ضغط إكراه الانجليز ، فى الوقت الذى كانت الوزارة المصرية برآسه حاكم عرف بميله للانجليز ووزير خارجية ماكر خبيث ، وفى جو ملبد باثارة تهديدات جرانفيل لمصر بأنه مادام الاحتلال الانجليزى (المؤقت !) قائما فى مصر فيلزم ضرورة اتباع (النصائح) التى ترى انجلترا اسدائها لمصر

فضلا عن أن كتشنر قد فصل فى الأمر ورفع الراية الانجليزية بجوار المصرية على اطلال سراى الحاكم العام قبل توقيع هذه المعاهدة . عقب واقعة أم درمان فى ٤ سبتمبر سنة ١٨٩٨

٣ ـ لم تكن (١) مهزلة سنة ١٨٩٩ التى يسميها الانجليز معاهدة ، الا محاولة اغتصابية لاعطاء الانجليز وريقة مستكرهة ، للبقاء فى جنوب وادى النيل ولم يكن موقف المصريين منها منذ زيفت عليهم الا موقف الاستنكار

---

(١) كلمة بيت السودان، نشرت بالصحف فى ١١ يناير ١٩٤٧

والسخط ولم يكن مقتل بطرس غالى الا التضحية التى لاتملك مصر غيرها فى ذلك الوقت لكى تدفع عن نفسها عار القبول والاستلام .

(٤) تعتبر(٢) اتفاقية ١٨٩١ غير موجودة قانونا لأن الذى أمضاها لم يمهرها بوصفة وزيرا للخارجية المصرية ، ولأن الخديو لم يقرها وما كان له أن يعترف وهو لايملك ذلك ، لأنه لايستطيع أن يتنازل عن جزء من أملاك الدولة العثمانية .

(٥) إتفاقية ١٨٩٩ ولدت باطلة ، إذ أن مصر وقت عقدها لم تكن لها الأهلية الدولية لعقد معاهدات سياسية ولأن هذه الاتفاقية تضمنت تنازلا من مصر عن حقوق كانت فى الوقت أمانة فى يدها

(٦) اتفاقية ١٨٩٩ لم يسبق عقد نظيرها فى القانون الدولى والحقوق التى منحت لانجلترا فيها لاترتكز على أى مسوغ شرعى

(٧) من أسباب بطلان اتفاقية ١٨٩٩ أن ظروف التعاقد قد انتفى منها الرضا والاختيار من جانب مصر إنتفاءاً تاماً ، فهذه الاتفاقية أن هى الا عقد تم باكراه ، ويصح أن يقال أنها بين كرومر وكرومر لا بين مصر وانجلترا .

(٨) فضلا عن أنها جمعت الغنم كله من طرف واحد ، هو الانجليز ، وجعلت العزم كله على طرف الآخر وهو مصر ، ويكفى أنها كسبت انجلترا شركة فعليه فى إدارة السودان مقابل حفنة من الجنود ، كما احتفظت لانجلترا بواسطة حق ترشيح الحاكم العام فى المادة الثالثة باحتكار جنسيته دائما ، حتى صارت الوظيفة وقفا على الانجليز ، هذا فضلا عن أن الاتفاقية نصت على اختصاصات دكتاتورية للحاكم العام

---

(٢) زكريا مهران باشا

للحاكم العام ، لا تستطيع أى سلطة فى الأرض أن تدخل معه فيها سواء من السوادانيين فى الداخل أو من إحدى الدولتين فى الخارج ، كما جاء فى المادة الرابعة

وقد لا يعرف الكثيرون أن مجلس الحاكم العام استشارى بحت للحاكم حق رفض قرارته أو الأخذ بها

٩ — طريقة التطبيق باطلة ، فمع أن الحاكم العام موظف مصرى ، ومع أن حيثيات الاتفاقية ونصوصها وروحها تجمع على أن مصر والسودان بلد واحد ، فقد استساغ الحاكم العام أن يفصل السودان فصلا تاماً ولم يكتف بجعله إدارة ثنائية بين مصر وانجلترا بل جعل منــــه مستعمرة انجليزية (١)

١٠ — تقضى اتفاقية سنة ١٨٩٩ بأن السلطة العسكرية والمدنية فى السودان مفوضة إلى الحاكم العام الذى يكون تعيينه بناء على طلب انجلترا ولا يفصل من منصبه إلا برضائها وهو لذلك مسئول أمامها وحدها ويتولى السلطة التشريعية ويضع ما يشاء من اللوائح والقوانين (٢)

١١ — صرح وفد المفاوضات سنة ١٩٣٠ ان اتفاقية سنة ١٨٩٩ بمقوتة فى عصره كل المقت وان كل ما يريده هو عدم الاشارة اليها مطلقا فى المعاهدة (الكتاب الأخضر ص ٣٣) ومع ذلك فقد أقرها فى معاهدة سنة ٩٣٦ فأصبحت شرعية ، وكان هذا ، ويا للاسف ، تنازل ، عن جهاد مائة عام فى السودان ، وتضحية لعشرات الألوف من المصريين ، وعشرات الملايين من الجنيهات

---

(١) مادة ٧ ، ٨ ، ٩ « الاستاذ اسماعيل الازهرى »

(٢) ص ٤٩ — كتاب قواعد المعاهده للاستاذ عبد الرحمن بك الرافعي

١٢ —. قرر مجلس نواب مصر فى ٢٦ - ١٢ - ١٨٨١ قبل الاحتلال اعداد مقاعد لنواب السودان وصدر قانون الانتخاب فى ٢٥ - ٣ - ١٨٨٢ متضمنا (مادة ٦) تمثيل محافظات السودان ومديرياته

١٣ — كان من أكبر الاخطاء اننا وقعنا اتفاقية سنة ١٨٩٩ وتركناها نصف قرن تعمل عملها وينتج للانجليز التسلط على حبوب الوادى على أعتبار أنه جزء منفصل عن شماله

سنوية تاريخ الفكرة الإسلامية

انتوينا - بعون الله - إصدار رسالة جامعة بمناسبة مرور سنة على إصدار هذه الرسائل ، ورغبة فى تجديد الحجم والموضوعات فى العام المقبل ، ولعل ذلك يتحقق فى القريب إن شاء الله تعالى

حاضر ... الجنوب

بين شمال الوادى وجنوبه
من إتفاقية ١٨٩٩ - إلى طرد الجيش المصرى
من السودان سنة ١٩٢٤

فاذا كانت فائدة السودان لمصر واضحة للعيان فان فوائد ارتباط البلدين متبادله ويعود مثلها على السودان نفسه ، لأنه إذا كان السودان بطبيعته وبوضعه الجغرافى جزء لا يتجزأ من مصر فان مصر لا تقل ضرورة لنمو السودان وتقدمه
(تشرشل ١٨٩٩)

لو أحصيت الجروح التى أصابت جسم مصر منذ الأحتلال الانجليزى ١٨٨٢ لكان أبعدها وأشدها إيلاما ، ذلك الجرح الدامى بل ذلك الجرح المميت الذى أحدثته إتفاقية ١٨٩٩
(اسماعيل صدقى — الأهرام — ١٩١٩)

١ — كانت انجلترا وممثليها فى أيام عقد اتفاقية السودان بان هذه الاتفاقية لا ترمى إلى اكثر من اعفاء السودان من اعباء الامتيازات وتؤكد هذه التصريحات وحدة مصر مع السودان وصلتها ، وهذه من مناورات السياسة الاستعمارية العجيبة التى تحاول أن تنسى مرارة الواقع وتحوطه بجو من الخيال أو التلفيق بغية صرف الاذهان عن أثاره ومفعوله ، والا فاين هذا المعنى الآن واين هذه التصريحات ؟

٢ — فى مشروع ملنر المقدم إلى الوفد فى ١٨ يوليه سنة ١٩٢٠
المادة الثالثة عشره — مسألة السودان تكون موضع اتفاق خاص

والمعروف أن سعد زغلول هو أول من قبل فصل مسألة السودان عن مصر وتأجيلها وأصبحت هذه طريقة تقليدية حتى فى أيام محادثات (صدقى وستناسجيت) كان المفاوض المصرى يرمى إلى تأجيل مسألة السودان لما بعد الفصل فى مسألة مصر وهكذا يحمل المفاوض المصرى

خلال هذا الربع قرن تبعة التطورات العجيبة التى اضطردت اثارها فى السودان ، ويحمل الوزير المصرى تبعة التقصير فى الاحتجاج عن مايصل إلى علم مصر من اثار الاحتلال والاستعمار فى حنوب الوادى فقد ظل موضوع السودان معلقا من ١٩٢٠ - إلى سنة ١٩٣٠ حيث صرح المفاوض المصرى بأنه تقطع يده ولا يقطع السودان عن مصر ، ولكن الاسف يملأ النفس حين نرى معاهدة ١٩٣٦ وقد اقرت الانجليز فى السودان وأكدت مواد اتفاقية ١٨٩٩ وأيدت بقاء الحالة فى السودان على ما هى عليه على أساس الحكم الفردى الإستعمارى ، وعلى أساس الدعايات الباطله التى أوقد الانجليز لها نار الخصومة والحقد بين الشمال والجنوب فى الوادى وبين الشمال والجنوب فى الجنوب .

٣ - خطاب ملنر إلى عدلى باشا فى ١٨ أغسطس ١٩٢٠

(ليس بين اجزاء المذكره التى أنا مرسلها اليك الان جزء يقصد تطبيقه على السودان كما هو ظاهر من المذكرة نفسها ، ولكنى أرى إجتنابا لكل خطأ وسوء فهم فى المستقبل انه يحسن بنا أن يدون رأى اللجنه ، وهو أن موضوع السودان الذى لم نتناقش فيه قط نحن وزغلول باشا وأصحابه خارج بالكلية عن دائرة الاتفاق المقصود لمصر ، فان البلدين يختلفان اختلافا عظيما فى أحوالها ، ونحن نرى أن البحث فى كل منهما يجب أن يكون على وجه مختلف عن وجه البحث الاخر .

أن السودان تقدم تقدما عظيما تحت ادارته الحالية المؤسسة على مواد اتفاق ١٨٩٩ ، فيجب والحالة هذه أن لايسمح لأى تغيير يحصل فى حالة مصر السياسية أن يوقع الاضطراب فى توسيع نطاق تقدم السودان وترقية على نظام أنتج مثل هذه النتائج الحسنة ، على اننا ندرك من جهة أخرى أن لمصر مصلحة حيويه فى ايراد الماء الذى يصل اليها مارآ من السودان

ونحن عازمون أن نقترح إقتراحات من شأنها أن تزيل هم مصر وقلقها من من جهة كفاية ذلك الايراد لحاجاتها الحالية والمستقبلة .

٤ - مشروع الوفد المصرى ١٩٢٠ المقدم إلى ملنر

المادة الثالثة عشرة منه (مسالة السودان تـكون موضع اتفاق خاص)

٥ - تأجلت ايضا فى مفاوضات عدلى سنة ١٩٢١ بعد أن تكلم عدلى فى أن معاهدة ١٨٩٩ . تبيح للانجليز الاشتراك فى الادارة مع مصر ، أما حق (السيادة) فهو لمصر وحدها وان هذا الحـكم الثنائى فيما يعبر عنه (ملك مشترك)

وقد استعمل لفظ (السيادة) البغيض ليكون حجه على المصريين ازاء إخوانهم فى السودان فى الوقت الذى لا تريد فيه انجلترا سيادة مشركة على السودان ، وانما تريد استعباداً واستعمارا واحتلالا قائما دائما .

ولقد كانت المحادثات خلال هذه المفاوضات تدور حول انفراد الانجليز بحكم السودان ، والمطالبة بتحقيق المصالح المصرية فيه وأول هذه المصالح مياه النيل ، وهذا تناول ضعف للعلاقات الطبيعية بين الشمال والجنوب ، والأمر ليس فى الواقع أمر النيل ولا الجيش ولا الهجرة بقدر ماهو أمر قيام هذه الوحدة الطبيعية التى لامعدى عنها والتى اتصلت بشطرى الوادى إجماعا روحيا وجغرافيا ، والتى لاسبيل إلى انفصالها

٦ - استقالت وزارة نسيم باشا فى فبراير ١٩٢٢ لأن الانجليز تخطوها ووجهوا إلى الملك إنذارا يطلبون فيه حذف النص الخاص بالسودان من الدستور باعتباره أحد التحفظات الأربع فى تصريح ٢٨ فبراير وتقول الصحف أن هذا الانذار يتضمن التهديد بالرجوع إلى حكم الحماية وإعلان ذلك رسميا ثم إلغاء اتفاقية ١٨٩٩ وضم السودان إلى انجلترا وقد كانت المادة المحذوفة تنص على (أن السودان جزء من مصر) وقد وضع بدلا

منها (تجرى أحكام الدستور على مصر بدون أن يخل ذلك مطلقا بما لمصر من الحقوق فى السودان) وكذلك طلب حذف النص على لقب (ملك مصر والسودان)

٧ ـ أقامت انجلترا معرض وميلى (معرض الامبراطورية) وطلبت إلى السودان الاشتراك فيه دون علم الحكومة المصرية على اعتبار أنها من أملاك الامبراطورية

٨ ـ أخذت انجلترا تجمع وثائق وعرائض يوقع عليها السذج وطلاب المنافع من الأهالى تطلب فصل السودان عن مصر وتعلن فيها الولاء للحكومة الانجليزية وقد ورد تلغراف للحكومة المصرية كله ينص على احتجاج السودان وسخطه على سياسة التطويق التى استعملت لمنع وفد السودان من السفر إلى مصر لعرض وثائق ولاء السواد الأعظم لمليك البلاد ويطلب بإلحاح تدخل الحكومة فى هذا الأمر لإيقاف ضرره

٩ ـ قامت بعد مقتل السردار ثورة مسلحة فى السودان (المعروفة بثورة ١٩٢٤) هى نواة لحركة اليقظة التحريرية ، اشترك فيها العسكريون واصطدموا بالجيش المصرى

وكان أظهر قوادها (على عبد اللطيف) وذلك على أثر إرسال الحوادث المتتابعة التى قصد بها إلى فصل الشمال عن الجنوب وعلى أثر إرسال وفد الولاء إلى لندن واستغلال بعض الصنائع فى تقديم عرائض التأييد والإشادة بارتياحهم إلى حكم الانجليز ، وقد أدى ذلك إلى قيام حركة مضادة من الشباب المتوقد ، فضحت بها مؤامرة العرائض وظهر أن الذين وقعوها إنما أكرهوا على ذلك إكراها وأن كل ماجاء بها باطل

١٠ ـ استمرت محاولات الانجليز لفصل السودان عن مصر تظهر

فى أسلوب واضح وقد حققتها بصورة قاطعة حادثة مقتل السردار حاكم السودان فى ١٩ نوفمبر ١٩٢٤

وأدى ذلك إلى أن تقدم انجلترا للحكومة المصرية إنذاراً عجيبا من أهم مافيه

المادة الخامسة : تصدر الأوامر فى خلال أربع وعشرين ساعة بارجاع جميع الضباط المصريين ووحدات الجيش المصرى البحتة من السودان مع التعديلات التى تنشأ عن ذلك وتعين فيما بعد

المادة السادسة : أن تبلغ المصلحة المختصة أن حكومة السودان ستزيد مساحة الأطيان التى تزرع فى الجزيرة من ٣٠٠ الف فدان إلى عدد غير محدود على نسبة ماتقضيه الحاجة

وبذلك يتضح مدى النية المبيتة لهذا الفصل فضلا عن الاثار المترتبة على ذلك وهى التى أدت إلى تأجيل النظر فى القضية المصرية وفى مسألة السودان إلى سنة ١٩٣٠ واعتبار مقتل السردار مما يدعو إلى ازدراء الشعوب المتمدنة لمصر ونتيجة طبيعية لحملة عدائية ضد حقوق انجلترا فى الوقت الذى لايكون لقتل المصريين وشنقهم فى مأساة دنشواى بتلك الطريقة المجرمة هذا الأثر وليس له فى نظر العالم أدنى اعتبار

١١ ـ فى مفاوضات سنة ١٩٢٧ تكلم ثروت باشا فقال أن المسألة المهمة المستعجلة ، هى مسألة مياه النيل وقد وضعت المادة ١١ فى المشروع المصرى بشأن السودان ومما جاء فيها :

(١) تأجيل تسوية مسألة السودان إلى مفاوضات تجرى فيما بعد

(٢) للطرفين المتعاقدين الحرية فى تقرير حقوقهما (إقرار من مصر بأن للانجليز حقوق فى السودان)

(٣) اتخاذ كافة التدابير اللازمة ليكفل توزيع مياه النيل

١٢ ـ قصد اللنبى إلى أعالى السودان وزار خزان (مكوار) واستقبل رؤساء العشائر ولم تكن بالطبع هذه الرحلة للنزهة وقد أثيرت فى تلك الأيام فى البرلمان الانجليزى ملاحظات ، يطالب فيها أصحابها ببيان موقف السودان السياسى بعد تصريح ٢٨ فبراير لأن أصحاب رؤوس الأموال الانجليز يأبون أن يضعوا أموالا جديدة بالسودان دون أن يتأكدوا بأن انجلترا ستظل مراقبة للادارة فيها

١٣ ـ صرح حاكم السودان يقول (إن للقطر المصرى حقا لاينكر فى أن يكون الماء المطلوب له الان وفى المستقبل مضمونا لاينقصه تقدم السودان لتتمكن مصر بذلك من زرع كل أراضيها وحكومة السودان مستعدة لتقديم هذه الضمانات التى لاتتعارض مع تقدم السودان ولاتعوقه بحال) وهكذا تتجه السياسة الانجليزية إلى تقدير مدى علاقة مصر بالسودان على أساس الماء

(١٤) وقعت فى سنة ١٩٢٩ اتفاقية النيل ونص منها على :

الايقام بغير اتفاق سابق مع مصر أعمال رى أو توليد ، ولا تتخذ اجراءات على النيل وفروعه أو على البحيرات التى ينبع منها سواء فى السودان أو فى البلاد الواقعة تحت الادارة الانجليزية يكون من شأنها انقاص الماء الذى يصل إلى مصر أو تعديل تاريخ وصوله أو تخفيض منسوبه على أى وجه يلحق أى ضرر بمصالح مصر) والمعروف قطعا ان اتفاقية النيل مناورة بارعة ، ومؤامرة جريئه تكون دائما سنادا فى يد المستعمر الانجليزى للتفرقة بين مصر والسودان وتوغر الصدور فى الجنوب ضد اخوانهم المصريين

النيـــل نيل أبى وامى   ونيلى مذ ولدت ومذ ربيت

وإن الأمر أمرنا نحن أبناء الوادى ، نصرفه على الوجه الذى نرى فيه الخير بشرط ألا يكون لانجلترا دخل فيما بيننا

(١٥) إن محاولات السياسة الاستعمارية الانجليزية لتجزئة وادى النيل ليست بالجديدة فان العدو منذ أن وطئت أقدامه أرض وادى النيل يعمل جاهدا و بكافة الوسائل لهذه الغاية المرسومة وتقسيم وادى النيل إلى وحدات يمكن ابتلاعها وهذا هو سر السياسة الاستعمارية التى تنتهز كل فرصة لتدعيم خططها المرسومة وما خروج الجيش المصرى عقب مقتل السردار سنه ١٩٢٤ إلا حلقة من تلك السلسلة وقد ظهر جليا بعد خروج المصريين من السودان مدى استبداد الانجليز فى إدارته ومدى هذا الاتجاه العجيب فى مثل روح الوحدة والأخوة بين أبناء الشمال والجنوب فضلا عن نشاط الانجليز فى فصل جنوب السودان وطبعه بطابع مغاير للشمال أن حكومة الشمال طالما أثارت محاولة فصل الشمال عن الجنوب فى الوقت الذى يؤكد فيه الواقع الملموس أن الانفصال قائم على قدم وساق كما أن تشكيل المجلس الاستشارى لشمال السودان أبلغ دليل على سياسة الفصل

(١٦) حولت برامج التعليم بعد خروج المصريين من السودان على أساس البرامج الانجليزية وأسس المجلس الاستشارى لشمال السودان دون جنوبه ، ومكن للبعثات التشبيريه من نشر المسيحية والانجليزيه فى الجنوب فضلا عن اشراط عدم الاذن بالانتقال بين الشمال والجنوب ألا ترخيص خاص تحدد فيه مواد الاقامة ، وإذا تزوج أحد من أهل الشمال من الجنوب تمنعه الحكومة من نقل أطفاله معه عند العودة ، وقد الغيت المحاكم الشرعية منذ سنة ١٩٢٤ فى الجنوب وأصبح المسلم يتزوج ويطلق أمام المفتش الانجليزى

(١٧) توقفت تنمية العلامات المصرية منذ سنة ١٩٢٤ إلى سنة ١٩٣٦ توقفا تاما ، وقد كانت من قبل تشوبها روح الضعف أيضا ، إذا كان الانجليز الظالمين يحاولوا أن يفسدوا ماينا وبين إخواننا أهل الجنوب بأن اتخذوا من العودة إلى السودان اسما منكرا يثير إخواننا فى الجنوب ،

فضلا عن أنهم عرفوا العلاقة بيننا وبينهم بتعريف استعمارى يراد به إثارة روح خاصة . وكان ذلك تحريض مقصود لتاجيج نار الخصوم والكراهة بيننا وبين إخواننا وإن كانت قد القت فى روع الكثير من الخصومة فعلا ، والتنكر لمصر فعلا ، فانها لم تؤثر على القلوب المخلصة المؤمنة التى تثق بمدى قوة هذا العقد القوى المتين الذى ربطته يد الله

١٨ — تبع إنسحاب الجيش المصرى من السودان ، حذف اسم جلالة الملك من حطبة الجمعة ، وتأليف قوة مستقلة للدفاع لاتدين ولا تخضع إلا للحاكم العام وانقلبت إدارة السودان ، فى البريد ، وفى القانون ، وفى كل شىء ووضعت السلطة الانجليزية يدها على مهمات الجيش المصرى وذخائره التى كانت مخزونة فى الخرطوم ورفضت أن تعطى وزارة الحربية المصرية شيئا منها .

كما أنها انشأت خط استحكامات بين مصر والسودان فى منطقة حلفا وانشىء خزان مكوار لحجز مياه النيل ما يكفى لرى ٣٠٠ ألف فدان فى السودان وقدرت سعة الخزان ٦٣٦ مليون متر مكعب

وتعددت المشاريع فى السودان ، وأصبح مرتعا خصبا للمستعمرين ، وأصرت الصحف الانجليزية على دعوة الممولين الأنجليز إلى توظيف أموالهم فى تلك المشاريع وذلك فى إنشاء أعمال تعميرية كانشاء كوبرى على النيل الأبيض من جهة المقرن وإنشاء خط ترام بين (الخرطوم ، الخرطوم البحرى ، أم درمان) وتألفت هذه الشركات من رأس مال قدره ٣٥٦ ألف جنيه انجليزى

فى الوقت الذى اتخذت الوزارات المصرية المعاقبة جانب الصمت التام وتسليمها بكل ما يفعل الانجليز

الجنوب فى معاهدة ١٩٣٦ وما بعدها

(١) سلمت بأن اتفاقية ١٨٩٩ تكون أساساً للحكم فى السودان وأعطتها صفة شرعية واتخذت منها دعامة لمفاوضات مقبلة .

(٢) يعتبر المصريين فى السودان أجانب كالانجليز تماما ، ويمتنعون من الامتلاك والمتاجرة والهجرة بحجة العمل على رفاهية السودانيين الموكل بها حاكم السودان الانجليزى

(٣) أصبح هناك شىء اسمه السودانيون ينفصل عن المصريين وعن الانجليز ، وأصبح مركزنا من أهلونا فى الجنوب (رسميا) مركز الغرباء كالانجليز تماما ، مع الفارق البين الذى يعطى للانجليز الحق فى السيطرة على خيرات السودان من دون أهل جنوب الوادى وأهل شماله .

* * *

من (سنة ١٩٢٤ - إلى سنة ١٩٣٦) انقطعت العلاقات العملية بين مصر والسودان من انتقال وهجرة وتجارة وصداقة ، إلا فى حالات قليلة نادرة ، فكانت هذه الفرصة المرتقبة التى ظل الانجليز يعملون لها منذ عقدوا (اتفاقية ١٨٩٩) الباطلة ، بل منذ دخلوا مصر (سنة ١٨٨٢) وقد تمكنوا خلال هذه السنين العجاف بدعاياتهم الباطلة ، إن يصيبوا النفوس التى نظرت إلى الأمور نظرة سطحية ، ولم تتعمق فى أغوار الماضى القريب ، أو الأفق الواسع .

ولكن الواقع أن معاهدة ١٩٣٦ أيضا لم تحقق الأمل الذى ما زال يجول فى نفوس أهل الجنوب من شوق إلى أهل الشمال ، وفى نفوس أهل الشمال كذلك ، فقد طوت الحزبيه الجامحة هنا ، هذه المعاهدة طيا ،

ولم تفكر فى تنفيذها أو الانتفاع بحقوقنا فيها . حتى تقيم دعائم الصداقة والاخوة قبل أن تتصدع ، وأن توطد للوحدة قبل أن تتمزق.

فظللنا فى غفلتنا سادرون ، وظل موقفنا سلبيا بالنسبة لما يصل إلينا من أخبار وأحداث هناك ، حتى جاءت الحرب وقعطت المواصلات والعلاقات ، واستفحل شر الانجليز فى دعوى الانفصال . وفى إغرائهم أهل الجنوب بألفاظ السودنة والاستقلال . وفى نشر الدعايات المضللة عن الأجناس والأقطار والحواجز والدم واللون ، وعن نية أهل مصر فى (الفتح) و (السيادة) و (الاحتلال) للسودان . هذه الألفاظ المريرة التى لم تفكر مصر قطعا فى أن تتلفظ بها ، والتى وردت أول ماوردت على لسان ساستهم ، وفى مشاريع معاهداتهم فرددها بعض المصريين ترديد الغافل عما يطوى الانجليز فيها من معانى ، وعما يثيرون حولها فى نفوس أهل الجنوب من آثار ، نعم اتخذوا من هذه الألفاظ دعاية لا تنفذ إليها أضواء الحق، حتى تبدد أكاذيبها تبديدا ، وتوضح تلفيقاتها توضيحا ، فما كانت علاقة مصر بالسودان ، ولن تكون يوما ماقائمة على هذه الألفاظ ، وإنما قامت وتقوم على حب متصل ، ووحدة صادقة ، وإخوة قديمة ، ودين واحد ، ونهر واحد ، وجنس واحد ، ومشاعر واحدة . وتاريخ متصل لاسبيل إلى انفصام أى عامل من هذه العوامل التى أقامتها يد الله، ووطدتها دعوة الاسلام وثبتها القرآن حيت قال (وان هذه أمتكم أمة واحدة)

* * *

وإن كان الانجليز قد استطاعوا أن يؤثروا ، بالدعايات الباطلة ، وبالتلفيقات الكاذبه ، ومن جانب واحد وبالاغراء وغيره من وسائل الاستعمار، فان هذا لن يقف مطلقا أمام التيار الزاخر ، تيار الايمان بالوحدة ، والاخلاص

المتبادل ، والسعى للدولة الموحدة ، على أساس المعرفة بمدى الخطر فى الانفصال على كلا الشمال والجنوب ومع الايمان بأن الحياة بالجمع ولا حياة بالانفصال .

وعلى هؤلاء المؤمنين بالوحدة تقول القضية ، وقد عرف هؤلاء عذرنا ومدى الحواجز المقامة فى وجوهنا ، وقد عفا هؤلاء عن هفوات إخوانهم وتقصرهم هؤلاء الذين انقطعوا عنهم جانبا من الوقت تحت ضغط الحوادث والظروف ، حتى جاء اليوم الذى يحاول المستعمر حيلته ، فاذا بالأواصر تقوى ، والأيدى تتعانق ، والصلة تزداد انعقاداً ، وتستفيق معالم الوحدة فى النفوس هنا وهناك فلا تقف الألفاظ الخداعة أمامها ، بل ترتد إلى صدور قائليها سهاما مسددة ، ويفشل الداعين إلى الانفصال ، باسم الاستقلال ، لأنهم فقهوا أن فصل السودان عن مصر ، معناه تسليمه للانجليز ، لينفردوا بحكمه وليتملكوه لقمة سائغة .

وقد عرف اخواننا فى الشمال والجنوب ، ان عدونا موحد ، هو الانجليز فلنجاهد هذا العدو جهاداً ثانيا متصلا ، ولنتخلص منه بالوحدة والقوة ، ثم تنظم بعد ذلك البيت ، دون أن يكون للانجليز دخل فيه .

أما أن تقوم انجلترا نفسها حكما بيننا ونحن اخوه اشقاء رضعنا لبان نهر واحد ، وتستعدى بعضنا على بعض ، ويغرى بعضنا ببعض ، بحجة انها تحمى السودان من مصر ، وانها انما تعمل لمصلحة السودان وانها تستخلص حقه فهذه مغالطات كبيرة ضخمة ، ولكنها لن تجوز على العقول ولا على النفوس ابدا .

واننا لنعلم اننا شغلنا بالاهواء الحزبية ، شغلا عنيفا ، وكانت هذه الاحزاب ورجالها أولا وآخراً سببا مباشراً لما صارت اليه علاقاتنا بالجنوب فمن زعماء مصر من استبق مسألة السودان إلى حين ، فاستفحل الخطر ، ولم يكن هذا غريبا على زعماء اختارهم الاستعمار ليتجهوا اتجاهه المرسوم

فى الوقت الذى كان الشعب كله ينادى بوحدة الوادى إلى حـدود زيلع ، وبربر ، وهرر .

نعم قد انصرفنا وقتا طويلا عن حل مسألة الجنوب ، استعمل فيه الاتجاه الاستعمارى المغرض وزاد حده ، عندما عملت انجلترا على فصل شمال الجنوب عن جنوبه ،وكانت هذه كارثة جديدة ، اذ سمح لدعاة المسيحية ومبشريها باقتسام تلك المناطق والعمل بها ، رغبة فى ايجاد شعب آخر يدين بالمسيحية ويتكلم بالانجليزية فى هذه المناطق التى تعيش على الفطرة . وفى هذه المناطق بالذات يقرر الانجليز أن الدين والسياسة لا ينفصلان ، ذلك لأن سياسة الاستعمار قضت بتقرير هذا المذهب

وهكذا تتلون آراءهم وأفكارهم بلون الزمان والمكان وتلك لعمرى أكبر الخدع والأضاليل ، فلقد طالما قلنا أن الدين والسياسة لا ينفصلان فاتهمنا بالمغالطة

وهكذا يمتد الجشع الاستعمارى البغيض . فتكون عملها شريعة الأسماك يأكل صغيرها كبيرها ، وكأنما وكل الى الانجليز فى هـذه الدنيا اذلال الانسانية وتحطيم كرامة الأحرار واهدار حريات الشعوب واستعباد المسلمين

ولـكن مهلا فان انجلترا نأت تحت ضربات معاول الديون وسوف وسوف يخر هذا الطود فى القريب ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

هذا ،على أن أهل الجنوب قوم عرفوا بالرجولة والسماحة والإيمان ، فلن تحول اخطاء الزعماء الذين فصلوا مسألة السودان عن مسألة مصر دون الاستماع إلى وجيب القلوب المؤمنة التى تحب أهل الجنوب وتسعى للاتصال والارتباط ،وهو تجاوب طبيعى نابت الأساس ، راسخ الاركان وطيد الدعائم وستزيده الأيام والاحداث والأزمات قوة ،وان اختلف الأمر بين الحـكومات والمستعمرين

دسائس الاستعمار

فى السودان خلال نصف قرن

« ملاحظات عامة تحتاج إلى شرح نثبتها
تسجيلا للواقع ونمسك عن التعليق »

١ — رأى الانجليز فى السودان (الافريكان ورلد)

« إن الادارة الحاضرة التى يأخذ بها السودانيون نصيبا يزداد مع الأيام أهميه تعمل طبقا لمشروع طويل الأجل على اعداد البلاد للحكم الذاتى ، وذلك هو الهدف الذى كان أساساً للسياسة الانجليزية منذ زمن بعيد ، وان كان السودانيون لم يصلوا حتى الآن إلى هذه المرحلة فانه متى حصل الشعب السودانى على قسط من التطور السياسى يخوله حق تقرير مصيره فقد يكون من واجب المصريين عندئذ أن يمنحوا السودانيين هذا الحق الذى يتمتعون به هم أنفسهم »

أكاذيب . مغالطات . مناورات . . استعمارية

٢ – كان الزام الانجليز لمصر بإخلاء السودان مناورة جريئة ، ورغبة فى فرض سلطانهم على السودان بوجه مشروع ، وايغار صدور السودانيين على إخوانهم المصريين ، وعبارات الحكم الذاتى التى يتشدق بها الاستعمار الانجليزى ما هى إلا الفتنة الآثمة التى يموه بها على عقول الشعوب الغافلة ، ومتى صح أمر شعب منح الحكم الذاتى مع بقاء الاحتلال ؟ وفى ظلال الحكم الذاتى يشكل البرلمان على الوضع الذى يراه المندوب ، وتؤلف الوزارة بمشورته ، ويكتب الدستور بارشاده ، وتفرض على الوطن

القيود والأوضاع التى لا عدالة فيها ولا مراعاة لكرامة الشعب ولا لأصحاب الأوطان

٣ — بدأ الانجليز بعد احتلالهم السودان بإنشاء مستعمرة انجليزية على هيئة شركة باسم (شرق افريقيا) برأس مال قدره مليونان من الجنيهات ولجأت انجلترا إلى إرضاء الدول الأخرى ببعض الهدايا الأقليمية ليغمضوا أعينهم عن هذا العمل فقطعت أجنحة الوطن وسلمتها لايطاليا والحبشة

٤ — يستعمل السودان الآن كاحد حقول الابحاث الذرية وتشمل هذه المنطقة جنوبى سنار بين النيل الأبيض والأزرق

٥ — يعترض الانجليز على لفظ وحدة وادى النيل بأنه لفظ غير دقيق وإن وادى النيل يشمل غير مصر والسودان ، الحبشة وأوغندة وبحيرة فيكتوريا، ويتنكرون للوحدة التى تشمل الحوض نفسه .

٦ — يدعى الانجليز أنهم يعملون على رفاهية السودان ، وخير ما فى هذه الرفاهية أن الانجليز يحكمون السودان منذ ٥٠ عاما. فما زادوا أهله إلا فقرا ومرضا وضعفا وحرمانا من خيرات بلادهم وقد كان هذا النصف قرن سلسلة من البؤس والشقاء والمهانة والعبودية

٧ — يصمم الانجليز على أن تكون وحدة مصر والسودان تحت تاج مصر المشترك وحدة رمزية وانها تخول لهم حق اختيار نظام السودان فى المستقبل على ألا يتغير الوضع القائم ، وهذا معناه الوقيعة بيننا وبين إخواننا السودانيين واشعال نار الفتنة باضطهاد الأغلبية الساحقة المنادية بوحدة الوادى ، ومحاباة الأقلية التى تخدم أغراض الاستعمار تحت ستار الانفصال والاستقلال

٨ — يستخدم الانجليز فى السودان نفس الخطط التى يستعملونها فى

فلسطين والهند ، إذ يبذرون بذور الفتنة والشقاق بين الوطنيين والقبائل السودانية ، بمحاولتهم اثارة العوامل الوطنية والعنصرية والدينية التى تفرق بينهما ، وقد جزأ الانجليز السودان إلى جزئين اذ فصلوا الجنوب عن الشمال وجعلوا منه منطقة منعزلة انعزالا تاماً ، بحظر دخول أهالى الشمال فيها ، توطئه لربط جنوب السودان بمشروعاتهم العسكرية الجديدة فى أفريقيا الجنوبية بدليل انهم ينشئون مطارات جديدة فى السودان

٩ - يعانى السودان هجرة مروعة من الغرب اذ تتدفق على سهولة كل عام ألوف لا حصر لها من غرب أفريقيا ونيجريا يزاحمون الفلاح السودانى مزاحمة خطيرة وهذا نوع جديد من الصهيونية السوداء

١٠ - كونت انجلترا المجلس الاستشارى لشمال السودان من نظار القبائل والأعيان وبعض الموظفين الذين لا يملكون مع حاكم السودان رداً أو اعتراضاً ويعتبر هذا فى نظر المستعمر خطوة نحو الحكم الذاتى وفيه جمعت انجلترا جميع صنائعها الذين تعتمد عليهم

١١ - دعا الحاكم العام فى (ابريل سنة ١٩٤٦) إلى مؤتمر السودنة وجعل من اختصاص المؤتمر دراسة الخطوات التالية لتوسيع اشتراك السودانيين فى الادارة وزيادة مسئولياتهم . والغرض هو إعطاء المجلس الاستشارى الحالى صفة تمثيلية أكثر وتمثيل السودانيين فى المجالس واللجان المختلفة ، وتدرس الآن مقترحات لتكوين مجلس تشريعى للسودان مكون من مائة عضو ينتخبون على درجتين ، ويكون اختصاصه إقرار الميزانية والقوانين وصلته بمجالس الحاكم العام كصلة البرلمان بالوزارة ، وكل هذه محاولات لتمكين أنصار الإنفصال وسعى لهذا الفصل

١٢ - نقف من السودان موقفا سلبيا فى حين أن الانجليز يقطعون

كل يوم شوطا إيجابيا فقد أنشأو المجلس الإستشارى ، وأخذوا يجلون الموظفين المصريين ،ويضايقون الخبراء الاقتصاديين،ويشجعون أحزاب الانفصال ، وقد إحتكروا كل منتجات السودان ومحصولاته ،وفصلوا الجنوب .

١٣ — أحيت حكومة الانجليز فى السودان قرىزنجية مكان المدن الأصلية وشطبت عمدا الأسماء السودانيةوالمصرية القديمة فلا توجد الآن(فاشودة،ولاالتوفيقية،ولاالاسماعليةوإنماتوجدغردون،ستاك،كتشنر)

١٤— منابع النيل :

لايمكن مطلقاً أن تكون هذهالمنابع بيد أحد سوى (مصروالسودان) مجتمعين باسم دولة وادى النيل ، فهم أصحاب هذا النهر وحماته وبه تعلقت أرواحهم وأرزاقهم ولا بد أن يكون سلطانهم عليه كاملا .

١٥ — تفكر انجلترا فى خطة انفصالية جديدة ، هى عزل منطقة البحر الأحمر وجزء من منطقة كسلا لخلق دولة باسم دولة البجة فى المناطق التى يسكنها عرب البجة .

١٦ —. تتبادل مع أوغندا والصومال البعثات فترسل الطلبة الصوماليين إلى المعاهد السودانية وترسل البعثات من الطلبة السودانيين فى المناطق المقفلة إلى اوغندا .

١٧ — منطقة حلفا ليس فيها موظف مصرى واحد ، هذه البلدة التى جعلها الانجليز همزةالوصل بين مصر والسودان ، وقد كانت داخل الحدود المصرية عندما كان الحد الجنوبى لمصر جزيرة(ساى)جنوبى وادى حلفا .

١٨ — يفكر الانجليز فى وضع قانون للجنسية خاص بالسودان والسودانيين كما يفكرون فى وضع دستور للسودان ، ويرون أن اتفاق ١٨٩٩ يبيح لحاكم السودان هذا بغير رجوع (للشريكين !)

١٩ — السودانيون الذين خبروا الحكم الانجليزى (الثنائى اسما) ولمسوا آثاره طيلة نصف القرن الاخير يعتقدون اعتقادا حازما أن كل يوم يمر على قيام تلك الادارة يقوى الحائط الفولازى الذى يقيمه الاستعمار للفصل بين شطرى الوادى .

٢٠ — يخدع الانجليز اخواننا فى الجنوب بخدع عجيبه ، يقولون لهم أن مصر تطالب بان تكونوا تابعين لها بغيه استعباركم واستعبادكم والسيادة عليكم ، ونحن نحاول أن نمكنكم من الحرية ويكون السودان للسودانيين ، ولكن القليل من اخواننا من تنطلى عليهم هذه الخدعة البراقه ، إذ أن العلاقة بين الشمال والجنوب ليست الا العلاقة بين قلب فى جسد ين لا يمكن انفصالهما وان كل فصل بينهما هو موت للجسد كله .

إن مصر والسودان جزئين من وحده ، وشطرين من كيان ، ولن يقوم لهذا الوادى مقاما إلا إذا اتصل صلة الدولة الواحدة

ان العمل الأول أن نتضافر على إخراج الانجليز من الوادى ، فيجلو الدخيل جلاء تاما سريعاً ، جواً وبحراً وبراً ، دون أى شرط أو قيد ، ثم ننظم وطننا الداخلى كما نريد نحن لا كما يريد

٢١ — الحكم القائم فى السودان غير منطبق على إتفاقية ١٨٩٩ الباطلة نفسها ، بل هو يتخطاها الآن الحاكم العام يحكم منفرداً و سلطته ممتدة من الانجليز وحدهم ، وهو لا يرجع لحكومة مصر فى أى تصرف من تصرفاته ، ولا هو مسئول أمامها ، ومجلس الحاكم أعضاؤه كلهم من الانجليز وليس فيه مصرى واحد ، وكذلك جميع رؤساء الادارات والمصالح الانجليزية ، ومديرو المديريات ووكلائها ، وقوات الجيش المصرى فى السودان خاضعه لتصرف الحاكم العام .

٢٢ — إتفافية ١٨٩٩ تعطى الحاكم العام الحق فى اصدار قوانين خاصة

وتمنع سريان القوانين المصرية فى السودان وهى تمنع سفر المصريين إلى السودان وإقامتهم فيها وتملكهم للارض باى حجة أو عذر .

وقد استتبع بهذه الحرية اقتسام جنوب الوادى إلى مناطق ، واعطاءه الحق فى اعلان الاحكام العرفية فى أى وقت .

وقضت الاتفاقية المشئومة أن ترشح هذا الحاكم انجلترا وتعينه مصر فلابد أن يكون انجليزيا وهو بحقوقه المرسوم فى هذه الاتفاقية يمنح حق الملكية والاقامة بالسودان لمن يشاء ويمنعها عمن يشاء .

٢٣ — عطلت مصر استعمال حقوقها فى التى قضت بها نصوص معاهدة ١٩٣٦ واشتغال الحكومات المتعاقبة عن تنفيذ هذه الحقوق والمطالبة بها .

وقد كان فى الامكان بهذه الحقوق أن نوطد للشعور الوطنى وأن نقوى صفوف دعاة الوحدة وان نخفف من حدة الانفصاليين ، لو استعلمنا هذه الحقوق ولما استطاعت هذه الدعايات الاستعمارية المضللة الكاذبة ، أن تتوسع وأن تغرى أهل الجنوب بأهل الشمال وكنا نجد دائما الرد المقنع والادلة المدعمة بالبراهين على خير الوحدة وضرورة الإرتباط .

٢٤ — ونحن الآن مطالبون ببذل جهود مضاعفة لإنفاذ الحقائق الصادقة ، والعواطف الخالصة التى تربطنا باخواننا أهل الجنوب بحشد جهود قوية ، ودعايات منظمة وتجنيد كل القوى الوطنية فى سبيل إزالة الاثار الخبيثة التى علقت فى بعض النفوس والتى أشعرت جانبا من أهل السودان بأن المصريين أهل استعمار والتى أحرجت صدور الكثيرين وأثارت نفوسهم وبثت الكراهية والخصومة بيننا وبينهم .

٢٥ — تنص إتفاقية ١٨٩٩ على (أن تكون هجرة المصريين إلى السودان خالية من كل قيد إلا فيما يتعلق بالصحة أو الامن العام)

هذا الشرط غير منفذ الآن إذ أن المصريين ممنوعين من السفر إلى السودان الا بتصريح ، وهم يلاقون فى سبيل ذلك متاعب لاحصر لها تزيد أحيانا عما يلاقيه المسافرون إلى الخارج، هذه الاجراءات تشبه تماما اجراءات السفر إلى قطر آخر .

وتتبع فى وكالة السودان وفى الجمارك اجراءات عسيرة تنبىء بأن السودان قطر مستقل وتزيد بأنه من الصعب على المصريين السفر اليه أو الاقامة فيه فضلا عن تحديد المدة والاستفهام عن أسباب السفر ودواعيه .

٢٦) وقد أعان ضعف الوزارات المتعاقبة وتراخيها وأساليب الحزبية التى قصرت همها على الخلافات الداخلية ، على تناسى هذا الشطر ، فاستطاعت انجلترا أن تعمل لمصلحتها عملا جديا أصبح يواجهنا الان ، ويدعونا إلى مضاعفة الجهد فى سبيل هدمه .

٢٧ — الاستعمار الانجليزى يقتل ببطء كالسرطان، وانجلترا الان تحتل السودان ، وتفصل الجنوب عن الشمال فيه، وتستغل كل مرافقه الاقتصادية، وتترك أهالى المناطق المقفلة عراه فى الغابات كالسائمة وتأخذ من الحكومة السودانية ٦١٪ من مجموع مرتبات الحكومة لموظفيها وتملك الشركة الامبراطورية وتسيطر على الجزيرة .

٢٨ — تعطل انجلترا طلبة العلم فى الجنوب عن مغادرة السودان إلى مصر بوسائل عجيبة ، فهى تحول كل طلب خاص بالسفر إلى القاهرة على جهة (مصرية) هناك ليس لديها حق التصريح بالسفر ، ويستدعى هذا أن يفهم أهل الجنوب أن هذه الجهة المصرية تمنعهم من السفر ، لأن مصر لاتريد . . . وهذه مغالطة مكشوفة ، وتدبير أليم فما أحب إلينا من أن ينتقل إلينا أهلونا وأحبابنا وإخوتنا لنزداد بهم رابطة وقوة

٢٩ — تتبع السيارات فى السودان النظام الانجليزى فى سيرها على

الجانب الأيسر من الطريق وتغلب اللغة الانجليزية على الحديث فى محلات التجارة والأسواق وينقسم الخرطوم إلى ثلاث (المدينة المثلثة) الحى الوطنى شمالا ، الحى الأفرنجى جنونا ، وأم درمان

٣٠ — لم تمد انجلترا الخط الحديدى بين الشلال وحلفا قطعا للمواصلات بين السودان ومصر ولو مدهذا الخطر لربط الشمال بالجنوب ربطا لا انفصام له ، فضلا عن أثره فى أحياء بلاد النوبه ، هذا وسكة حديد السودان أضيق من سكة حديد مصر ، وهذه مؤامرة عجيبة قام بها كتشنر (الموظف المصرى) مخالفا بهذا الطراز العالمى ، ومخالفا بالذات الطراز المستعمل فى مصر وطبعى أن هذا اتجاه مقصود ، ونية مبيتة ، وتوجد بعد أسوان باخرة تنقل الركاب إلى حلفا تسافر ٤٠ ساعة وهذا تعقيد فى نظام السفر ، يقصد به أتعاب المسافر . (١)

---

(١) إذا تم لانجلترا حمل نوبى مصر على الهجرة أو طلب الضم والمطالبة بحماية الاقليات فقد انهارت كل حجة المفاوض المصرى يحتج بها على وحدة الوادى ولم يبق لمصر ماتدعيه إلا حقها فى مياه النيل .

وقد كانت تعلية خزان اسوان ١٩٢٧ نكبة على النوبيين ، فلما بنى الخزان ارتفعت المياه وطغت على بلاد النوبه فأرتفعت مساكنهم فاضطروا لبناء مساكن أخرى لهم فى أمكنة عالية بعيده عن النيل .

ثم جاءت التعلية الثانيه ١٩٣٣ فكانت صدمة قاضية اضطر بعضهم على أثرها لترك المنطقة وبنى بعضهم مساكنهم مرة ثالثة على قمم الجبال على بعد كيلو متر من النيل ، وأصبحوا يزرعون أرضهم الممتدة على شاطىء النيل أربعة أشهر بعد أن كانو يزرعونها طول العام فبعد ما تقفل أبواب الخزان ترتفع المياه فى هذه المنطقة وتغمر الأراضى وتعلوا أبواب المساكن مدة لا تقل عن ثمانية أشهر حتى يحل فتح أبواب الخزان فتنخفض المياه وتصبح الأراضى التى انحسرت عنها المياه غير صالحه للزرع لتوالد الديدان والحشرات لخزن المياه فيها ثمانيه أشهر كاملة

٣١) سكان بلاد النوبه ، (أحبابنا وإخوتنا) مثال الصبر والاحتمال فقد كانوا فى السنين الأخيرة ضحية لمؤامرة انجليزية عجيبة ، إذ كانت انجلترا تحاول إكراههم على هجرة بلادهم بالدعاية والانضمام لمصر أو السودان ، حتى تصبح هذه منطقة قاحلة ، لايسكنها أحد رغبه إلى خلق فواصل (جغرافيه) تكون سناداً للدعاوة الباطلة وقد اعتنت (سكان النوبه) تعلية خزان أسوان وانقصت من أطرافهم وأموالهم وثمراتهم

٣٢) حولت البرامج بعد سنة ١٩٢٤ واتجه التعليم بعد طرد المصريين إلى الثقافة الانجليزية الاستعمارية بما لها من أثار فى التاريخ والاجماع ، وأبعدت ابعاداً تاما الثقافة العربية والاسلاميه وحيل كثيرا بين الشباب فى الجنوب المتعطش إلى العلم وبين مناهل الثقافة فى القاهرة

٣٣ — عمل الحكم الانجليزى فى السوادن على إثارة النعرة القبلية وتزكية نار الخصومات الأهلية والتفاخر بالانساب حتى ينقسم الناس شيعا وأحزابا فتنتفى مع هذا عوامل الوحدة ، ويجد الانجليز منفذاً رسميا ليعلنوا أن السودان مكون من أجناس متباينة ، شأنهم فى ذلك شأن الاستعمار الفرنسى فى المغرب حين أيقظ فوارق العرب والبربر

وكان هذا الاتجاه وسيلة إلى (السياسة الاقطاعية) التى ترمى إلى خلق وحدات صغيرة على شق الامارات الهندية (ص ١٩ مآسى الانجليز فى السودان) وقد أكدت تقارير الاستعماريين على ضرورة الابقاء على النظم القديمة والأوضاع القبلية والتقاليد المحلية التى تختلف فى إقليم عن الاخر رغبة فى التمكين لسياسة التمزيق والفصل بين أجزاء السودان وعمدت الحكومة (إلى الاعتراف بهذه النعرة رسميافأثبتتها فى الأوراق الرسمية واشترطت ضرورة تسجيلها فى العرائض والشهادات المدرسية ودفاتر المواليد وسجلات المحاكم والخرائط ، كما جعلت تلقنها للطلبة فى منهاج

الجغرافيا وكانت تعتبر هذه الأوراق ناقصة وباطلة مالم يذكر فيها الشخص اسم قبيلته ا هـ. (مآسى الانجليز فى السودان)

ولكن اليقظة الجديدة أعانت كثيرا على قتل هذه الروح ودحرها والقضاء عليها وقد تنبه الشباب المثقف فى السودان إلى مدى أثر هذه الاتجاهات فى تثبيت أقدام الاستعمار فحاربها حربا صادقة، وعارضها واستفاقت على أثر ذلك روح الشعب المعنوية وجابهت وقاومت وهزت وأحدثت أثاراً ، اضطر الاستعمار ازائها أن يخفف من وطأة حدته وأن يجنح إلى الملاينة

معالم الاستعمار فى السودان

١ ادعاء الحكم الانجليزى فى السودان أنه يعمل لرفاهية السودان
٢ — نصف الشعب عراه ، وتسعة أعشاره أميين
٣ — حرمان كامل من الحرية
٤ — حكومة أتوقراطية مستبدة ـ حكم بالحديد والنار
٥ — تكميم الأفواه ، وسجن الأحرار ، ومعاقبة الرجال
٦ — تضيق فى الأرزاق
٧ — استعمار اجرامى ، لا يرعى كرامة ولا إنسانية ولا عرفا
٨ — استباحة لاقدار الشعوب وتهجم على حماها ، واستغلال لخيراتها
٩ — إفساد للأخلاق والتأثير على نفسية الشعب
١٠ — حكم ثنائى اسما ، انجليزى فعلا
١١ — ثار أهل السودان على الظام الانجليزى سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩٢٤ ثورتين مسلحتين
١٢ — فصلوا الجنوب عن الشمال فى السودان
١٣ — خلق أسباب الشقاق وعناصر التفرقة بين أهل الشمال والجنوب وبين السودانيين والمصريين
١٤ — إبعاد النفوذ المصرى عن السودان والتخلص منه منذ سنة ١٨٩٨ وقد تأكد هذا المعنى باتفاقية ١٨٩٩ وتنفذ باخراج الجيش المصرى من السودان وقطع وشائج الصلة
١٥ — طبق النظم الادارى والتشريع المستعمل فى المستعمرات
١٦ — اتخذ من التعليم وسيلة لغرس سياسة التفرقة وابعاد الثقافة العربية الاسلامية

(١٧) تترك الحكومه الانجليزيه القائمة أهل السودان فى حالة فقر ومرض، مبتلون بالماء الراكد والغذاء التافه والقرى القذرة ولا يعنون بصحتهم ، ويتركونهم تفتك بهم الأمراض ، فى الوقت الذى ينعمون فيه هم بالحدائق والقصور والجنان

(١٨) تقوم لأاحكام العرفية فى السودان دائمة منذ خمسين سنة حسب نص اتفاقية ١٨٩٩ التى تقرر وضع السودان تحت الأحكام العرفية العسكرية إلى حين صدور أمر آخر

(١٩) روح البطش والعسف تسود كل تشريعات السودان وقوانينه وجو الارهاب والخوف يسود كل مجتمعاته

(٢٠) تداخل السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية

(٢١) يجرى فى شمال السودان القانون المدنى وفى جنوبه القانون العرفى والشريعة الاسلامية والقضاء الشرعى قد ألغيا من المناطق المقفلة فى دارفور وكردفان لأن الانجليز اعتبروا هذه البلاد غير اسلامية وأصبح المسلمون هناك يلجأون للحاكم الانجليزى لعمل الاجراءات الشرعية ، ومع أن الأحكام تعرض على محاكم قبيلية إلاأن الحاكم العام له الحق الآخير فى النقض أو الموافقة على تلك الأحكام

(٢٢) حامل الليسانس فى الحقوق من مصر لا يصلح للمرافعة أمام المحاكم السودانية مالم يمتحن ويحرز نجاحا فى المعادلة فى القانون الانجليزى وقوانين السودان ولا يجوز له الاشتغال بالسياسة ويتحتم عليه الولاء للحكومة ويقسم على ذلك

(٢٣) القوانين فى السودان تفرق بين أهل السودان وبين غيرهم من الأجانب فينال الأجانب امتيازات لاينالها أهالى الوطن

(٢٤) تحاول انجلترا الحيلولة بين أهالى الجنوب وبين التعلم وهى تسير فى إنشاء المدارس الوسطى والعالية بل والأولية ببطء شديد حتى تؤخر التثقيف واليقظه وهى تحرص على تشوية التاريخ وتشجيع الانجليزية ومسخ الدين والغاء الدراسات القرآنية تباتا ، بل إنه لا توجد بالسودان إلى الآن مكتبة عامه

(٢٥) أسماء الشوارع أجنبية غردون ، كتشنر ، استاك ، السردار ونجت - سلاتين - فيكتوريا (١٦٩ ماسى)

(٢٦) برع الانجليز فى احراق القرى ، وأحاطتها بالمدافع الرشاشة وإفناء أهلها اذا خالفوا أوامرهم

(٢٧) طول السكك الحديدية فى السودان ألفى كيلو فى مساحة تبلغ مليونا من الأميال المربعة

(٢٨) خسر السودان خلال الحرب ٦٠ مليونا من الجنيهات من جراء احتكار الانجليز لتجارة الصادرات السودانية وجبريه أسعار القطن والماشية (ص٦٩ - كنت فى السودان)

(٢٩) محاولة قطع الصلة بين المصريين والسودانيين ، ومنع زعماء السودان والبارزين فيه من الاتصال بالمصريين حتى لا يكون ذلك وسيلة إلى التذكير بالصلة القديمة الباقية وعملا على ايقاظها فضلا عما يكون لذلك من أثر فى التمرد على الحكم التعسفى الانجليزى القائم فى السودان

مؤتمر الخريجين

عامل اليقظه الأول

- كان عام ١٩٣٦ عام التحول فى الوعى الوطنى فى الجنوب ونتيجه لذلك الوعى تكون مؤتمر الخريجين

- مؤتمر الخريجين أهم ما يذكر إذا أردنا أن نتكلم عن النشاط الوطنى الذى سيكون له أبلغ الأثر فى تكوين مستقبل السودان السياسى ، والمؤثر الأكبر فى حاضره

- ومؤتمر الخريجين يعتبر (برلمان الشعب) اذ تجرى انتخابات عامة بين أعضائه كل عيد أضحى ، لتنتخب الهيئة السيتينية ، التى تنتخب اللجنة التنفيذية للمؤتمر

- كلمة خريج بمعنى مثقف متخرج من مدارس السودان أو ما يشبهها، يدفع اشتراكا سنوياً ، ويكون له حق التصويت لانتخابات برلمان المؤتمر (١٠٫٠٠٠) عضو انتخابات سنة ١٩٤٥

- بدأ المؤتمر عمله سنة ١٩٣٨ على أثر تصريح فى مجلس العموم عن أن السودانيين ليس لهم هيئة يمكن استشارتها فى مصير السودان وذلك فيما يتعلق بمعاهدة سنة ١٩٣٦

- وقفت الحكومة الانجليزية القائمة من السودان موقف التجاهل والانتقاص من قدرة المؤتمر فكانت لاتعترف له بحق فى تبليغ مطالب الجنوب وقد أستدعى ذلك أن تنشىء الحكومة المجلس الاستشارى ، لتوازن به كفتها « الاستعمارية »

- تقف الحكومة الانجليزية فى السودان موقف العداء ، والمراقبة

لهذه الهيئة الشعبية القوية ، وتحاول أن تحد من جهودها بكل وسيلة ، وتعلن دائما فى كل مناسبة أن وجهات نظر أهالى السودان عن مستقبل بلادهم ستقدم بواسطة حكومة السودان للحكومتين الشريكتين بالطريقة الاعتبارية فى الوقت المناسب)

ـ سجل مؤتمر الخريجين جولات موفقة ، فقد أثبت موقفا حازما فى حق تقرير المصير ، فى مذكرته المشهورة حيث طالب (بقيام حكومة سودانية ديمقراطية فى إتحاد مع مصر وتحت التاج المصرى)

ـ المؤتمر بذلك ولا شك ، هو الهيئة الوطنية الشعبية الوحيدة فى وهو مكون فى وضعه القائم من النخبة المثقفة الواعية المبثوثة فى البلاد جميعا ، ويرى المؤتمر ، وهو على حق ، إنه صاحب الحق الأول فى التقدم بمطالب السودان ، لأنه أدرى من غيره بالمطالب التى تعود بالرفاهية الحقيقية على أهله ، ولأنه يتمتع بالعطف الشامل والثقة المطلقة من جميع الطوائف والطبقات .

ـ جميع الأحزاب السياسية مشتقة من المؤتمر ، وهى أجزاؤه ، التى تتكون منها مجموعته ، وقد اتفقت هذه الأحزاب ووقعت على الميثاق الوطنى فى ٣ أكتوبر ١٩٤٥ ولم يخرج عليه إلا حزب الأمة

ـ أنشئت الحكومة (المجلس الاستشارى) فى مايو ١٩٤٤ وأعضاء المجلس (يعينهم) الحاكم العام وهم من الطبقة التى رباها الاستعمار وأطعمها وسقاها ، فهى لا تمثل السودان ولا تصلح لأن تستشار فى أموره ، وهى التى كون فيها حزب الامة ايناوئ المؤتمر وحزب الأشقاء وليس للمجلس الاستشارى نشاط ، لأنه يعمل تحت اشراف الحكومة الانجليزية القائمة فى السودان ويرأسه الحاكم العام وهو الذى يضع جدول الاعمال ويوجه المناقشات وله الحق فى رفض أى موضوع يقدم للعرض .

ـ يقاوم مؤتمر الخريجيين ـ الان ـ حزب الامة ـ المنشىء فى ٢٨ -١-٩٤٥

والذى ينادى بقول (غردون) السودان السودانيين ، والذى يعمل على استقلال السودان بكافة حقوقه الجغرافية مع المحافظة على الصلات الودية مع مصر وانجلترا .

ولم يعرف بعد اسم رئيسه ، ويعتمد على قوة المهدى باشا الحالية .

وقد صدقت الحكومة على قانون هذا الحزب واقرته لأنه ينادى بما تريد ، ويستعمل أصحابه وسائل (الترغيب والترهيب) لضم الناس اليه

الترغيب بالنضار والترهيب بسلطة الاستعمار وعسفه وأثرها فى المصالح وهو صاحب الدعوة الانفصالية

ـ يقاوم المؤتمر كلمة (اتحاد) وينادى بكلمة (وحده) ويطالب بقيام حكومة سودانية ديمقراطية فى اتحاد مع مصر وتحت التاج المصرى على أن يكون التمثيل الخارجى والجيش موحدا مع مقام حكومة محلية بالسودان ويطالب بالغاء معاهدتى ٣٦ ، ٩٩ وإلغاء الحكم الثنائى

ـ تقف الحكومة الانجليزية القائمة فى السودان موقفا عدائيا من (المؤتمر) وبعض أحزابه ، ويغالط الانجليز الرأى العام حين يقولون أنه لا يمثل إلا جانبا صغيرا من الرأى العام هم الخريجيين ، فى الوقت الذى يؤمن بدعوته السودان كله ولا ينفصل عنه إلا هذا الفريق الضئيل المعروف

ـ قام المؤتمر بمظاهرة كبرى فى (١-١١-١٩٤٦) قوامها يربو على ٥٠ ألفاً تأييداً للوحدة وادى النيل وقد كانت مظهرا بارزا للتمكين من الوحدة بين شقى الوادى فى النفوس .

ـ قاوم المؤتمر فى مصر كل النصوص التى قدمها صدقى باشا وقدمت له فى مشروع (صدقى ـ بيفن) ولم يقبل مايسمونه (أعداد السودانيين لحكم أنفسهم حكماذاتيا فى نطاق الوحدة وتحت التاج المشترك) ولا النصوص الأخرى التى تقر بقاء الحكم الثنائى مدة أخرى أو التى تتيح للانجليز حق التفاهم والتشاور أو التى تفتح ثغرة الانفصال أو مايحتم بقاء معاهدة ٣٦ واتفاقية ٩٩ سارية)

المناطق المقفلة

١ ـ تبلغ مساحة المناطق المقفلة ٢٢٥ و٧٠٧ ميل مربع وتبلغ مساحة السودان جميعه ٥٠٠ر٩٦٧ أى أنها تبلغ حوالى ثلثى مساحة السودان

٢ ـ تمنع انجلترا أهل الشمال من السفر إلى الجنوب إلا بترخيص خاص تحدد فيه مدة الاقامة وأسباب الرحلة ، وتمنعهم أيضا ـ فى حالة الاقامة من علانية العبادة ، وتمنعهم من إنشاء المدارس وذلك تنفيذاً لسياسة (محاربة الاستعراب المرسومة) أو محاربة الاسلام

٣ ـ إذا تزوج تاجر أو موظف من شمال السودان بامرأة من الجنوب تمنعه الادارة من أخذ أطفاله معه عند مايريد الرجوع إلى مسقط رأسه فى الشمال خوفا من أن يقوى هذا الزواج رابطة التقارب بين العرب فى الشمال والزنوج فى الجنوب (ص ٢٦ ـ مآسى الانجليز) .

٤ ـ تعمل انجلترا على إثارة أحقاد الجنوبيين ضد الشماليين ، مدخلة فى نفوسهم أن الشماليين كانوا يبيعونهم رقيقا ، وانهم (أى الانجليز) هم الذين حالوا دون ذلك .

٥ ـ حاول الانجليز أن يجعلوا من الجنوب بلدا مختلفا فى كل شيء عن الشمال ، حتى إذا جاء يوم الفصل فى قضية الوادى ، وجد الانجليز فى يدهم حجة على وجوب فصل الجنوب وضمه إلى امبراطورية جديدة تقام فى قلب أفريقيا (ص ٢٤ ، ٢٥ مآسى)

٦ ـ بمقتضى قانون المناطق المقفلة يحرم الاتجار على كل السكان إلا بجواز خاص وللسلطة إخراج أى سودانى من تلك المناطق دون أن تثبت عليه جريمة

٧ ـ فصل الجنوب معناه فصل للثروة المتوقع كشفها فى أراضيه ، هذا ويحارب الانجليز المستوطنين من الشماليين رغبة فى اجلاءهم

٨ ـ شجعت انجلترا الارساليات المسيحية الاوربية والامريكية على بث دعاياتها فى تلك المجاهل وأمدتها بأموال ضخمة استقطعتها من ميزانية السودان

٩ ـ تولت هذه الارساليات شئون التعليم وتنظيمه والاشراف عليه بدلا من مصالح المعارف السودانية وقد بلغت الاعانة سنة ١٩٤٦ ـ ٢٩ الف جنيه مصرى

١٠ ـ حارب المبشرون اللغة العربية والاسلام ، وعملوا على الجميع بين تعلم اللغة الانجليزية والمسيحية لاهل تلك الاصقاع

١١ ـ يقوم نظام الادارة فى الجنوب على المفتش والمفتش هو الحاكم الادارى وهو الذى يتولى القضاء بسلطات غير محدودة ، ويأتمر بأمره الزعماء ورؤساء العشائر ويستطيع بمفرده أن يحكم على أى شخص بالاعدام ومنذ سنة ١٩٢٤ الغيت المحاكم الشرعية التى كانت تقوم فى الجنوب فاصبح المسلم الذى يريد الزواج أو الطلاق يذهب إلى المفتش الانجليزى لكى يتم له المراسيم والاجراءات .. وان هذا العمل وأمثاله مما يقوم به الانجليز فى الجنوب ليعد انتهاكا سافراً لحرية الاسلام الحنيف (ص ٢٧ ماسى)

١٢ ـ يترك الانجليز الاهالى حفاة عراة ، وتمعن السلطة الانجليزية فى أفقارهم وحط مستوى معيشتهم ، وتتغاضى عن انتشار المخدرات المهلكة للجسم من (البنجو) الذى له مفعول الحشيش وسواه وتتهاون فى علاج الامراض السرية الفتاكة فتجد الاهالى يسيرون عراة متآكلة أجسادهم من تلك الأمراض

١٣ ـ لا يقع بصرك فى هذه المناطق الا على أجساد عارية أو شبه

عارية لايفترق أهلها فى حياتهم أو مستوى تفكيرهم عن وحوش الغابات . ولا تكاد تلمح بين هذه الملايين المنتشرة فى مساحات عظيمة من أخصب أرض الدنيا اجساداً كاسية اللهم الا بقايا المسلمين من أهل الشمال (ص ١٢١ ـ كنت فى السودان)

١٤ ـ العرى ـ الجهل ـ الخرافات ـ القذارة ، هى أساس الحكم الاستعمارى فى جنوب السودان

١٥ ـ تبث الدعاية ضد الشماليين (المصريين) فى المناطق المقفلة على أنهم تجار الرقيق (ـلا تزال تطلق على التجار السودانيين المسلمين من أبناء شمال السودان الذين خلفوا فى الجنوب اسم (الجلابة) وهى كلمة قديمة متخلفة من بقايا تجارة العبيد (ص ٧٤ ـ كنت فى السودان)

١٦ ـ يمنع القادرين فى المناطق المقفلة من لبس الثياب ويبلغ أجر العامل ١٥ مليما فى اليوم ويمنع تدريس العربية فى المدارس ويعلق هناك العلم الانجليزى وصورة ملك الانجليز فحسب

١٧ ـ فصل منطقة عن أخرى فى القانون الدولى (عمل دستورى) لا يملكه الحاكم الادارى وهو اجراء خطير يمس دستور الدولة

١٨ ـ تعد (ملكال) عاصمة مديرية أعالى النيل ، يقيم بها المدير الانجليزى ، كما انها تعد مركزا مهما للارساليات الدينية بروتستانتية وكاثوليكية وتواصل هذه الارساليات نشاطها فى البلاد المتاخمة لملا كال والمحيطة بها

مظاهر المؤامرة على تمزيق الوحدة بين مصر والسودان

غلطات الحاكم العام السابق

١ ـ فصل جنوب السودان عن شماله وحال دون وصول المصريين إلى تلك الاصقاع من سنة ١٩٤٢

٢ ـ أنشأ المجلس الاستشارى الأعلى وقصر عضويته على السودانيين الشماليين دون أن يأخذ رأى مصر

٣ ـ حال دون قيام الخبراء الاقتصاديين المتعاقبين

٤ ـ أعلن الحرب على المحور من تلقاء نفسه دون أن يستشير مصر

٥ ـ انقطع عن تقديم التقارير السنوية إلى مصر

٦ ـ قاوم مؤتمر الخريجين وشجع حركة الانفصاليين

٧ ـ طارد الموظفين المصريين وأحل محلهم موظفين من انجلترا

٨ ـ غزل قوة الجيش المصرى فأقصاها عن العاصمة وقطع كل صلة بين مصر والقيادة العليا للسودان

٩ ـ ناصبت مصر العداء جهاراً فى تنديده بتفسيرات اتفاقية صدقى بيفن واستمراره فى إجراءات السودنة

١٠ ـ اجراءاته الآثمة ضد قاضى القضاه (١)

١١ ـ اقترح تعديل اتفاقية النيل

١٢ـ أثار مشروع السودنة والاستفتاء العام

١٣ ـ عمل على وضع دستور للسودان وحاول تنفيذ قانون الجنسية السودانية .

---

(١) المصور ١١٦٠ فى ٣ ـ ١ ـ ١٩٤٧

دولة النيل

على أى وجه من أوجه البحث تقلب أمر السودان ومصر تجد معالم الوحدة بارزة قوية ، لايعوزها الدليل ، ولا تفتقر إلى برهان

فهى قد توحدت بفضل جريان هذا النيل بحكم الحضارة التى قامت على شواطئه والحضارات دائما تترعرع على شواطى الأنهار

وهى قد توحدت بفضل الدين الذى جمع بينها ، حين بزغت أضواءه وأشرقت أنواره ، فقد استجاب وادى النيل للرسالة الاسلامية

وإذا ذهبت تسأل علم الأجناس وجدت معالم الوحدة قوية بارزة ، تظهر فى قسمات الوجوه وفتحات العيون ومنطق اللفظ ، وقد تجد أن هناك فارق بين جنوب فرنسا وشمالها وبين الفرنسيين والنورمنديين فى اللون من (١ إلى ٤) ولكنك لاتجد فارقا بين أم درمان والدلتا يزيد على ١ - إلى - ٢)

وقد يتكلم رجل من ويلز مع آخر انجليزى فلا يتفاهما ولكن أهل جنوب السودان يتفاهمون مع أهل شمال مصر فى يسر وبساطة

وقد يختلف الاسكتلندى مع الانجليزى فى أصله ومعتقداته بمالا قبل للمشابهة معه ولكن السودانى لايختلف مع المصرى أصلا ولا معتقداً

وتختلف اللهجات بين أهالى بعض الأوطان جنوبها مع شمالها ولكننا نتفق مع أهل السودان حتى فى العبارات العامية التى نسمعها هنا فى العواصم والأرياف ونسمعها هناك فى القبائل والأقاليم

ولقد كانت أوربا فى القرن التاسع عشر تفتح أعينها على هذه الأقاليم الشاسعة فتحاول أن تضع يدها عليها باسم العلم والاستكشاف مرة، وباسم التجارة مرة أخرى ومنذ فكرت انجلترا فى تكوين امبراطورية جنوب أفريقيا كان وادى النيل معرضا لتطويق استعمارى

ولقد كانت حركات محمد على واسماعيل حركات تقريب وتجميع بين الخلايا فى جسم الوطن وقد ربطت الآمال والآلام بين شطرى الوادى ، ووثقت الروابط القوية فزادتها قوة وقد انتهز انجلترا فرصه احتلالهم لمصر لتنفيذ برنامج واسع ، كان أملا من أمالهم الاستعماريه المجرمة ، وكما استغلوا ثورة عرابى لدخول القاهرة فى ١٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢ كذلك استغلوا ثورة المهدى لدخول السودان فى ١٤ مارس ١٨٩٦ .

والواقع أن ثورة المهدى لم تكن دعوة إلى الانفصال ، بل كانت صدى لثورة مصر على الظلم بفعل التجاوب الطبيعى .

وقد استغلت هذه الثوره استغلالا عجباً ، وبذر الانجليز بذور الفتنة والخصومة منذ ذلك اليوم وارغمت مصر على اخلاء السودان وتركه نهبا للثورة ، فى الوقت الذى كانت قوات الجيش المصرى تبلغ ٢٥ الفاً ، أجبرت على ترك عتادها ومعسكراتها وعادت إلى مصر ، وانتهزت انجلترا الفرصه فقصت أجنحة هذا الوطن وقدمتها هدية للجارات العزيزات فأعطت الأحباش هرر فى سنة ١٨٨٧ وعقدت انجلترا وايطاليا معاهدة فى ١٥ – ٤ – ١٨٩١ أقرت انجلترا فيها ما اغتصبته إيطاليا من البلاد المصرية الواقعة على حدود البحر الأحمر ، ودبر الانجليز مؤامره مديريه خط الاستواء مع أمين باشا بحمله استانلى التى انتهت باجلاءه ومن معه عن المديريه سنة ١٨٨٩ وبذلك استولى الانجليز على هذه المنطقة وسميت أوغنده وفصلت على دولة وادى النيل ثم احتلت انجلترا السودان بقوات مصريه وباسم الحكم الثنائى ومنذ ذلك اليوم رفع العلمين المصرى والانجليزى معاً .

وقد كانت مصر مكرهة على الأخلاء ، مرغمة على العودة ، وكان هذا الأخلاء ، هذه العودة « مناوره » بارعة استعماريه مكنت للانجليز من السيطرة الكاملة على السودان وخلفت جواخانقا يستطيع الانجليز استغلاله لايقاد نيران الخصومة بيننا وبين اخوتنا ويرى بعض المؤرخين أن انجلترا

قررت حين بدأت أخلاء السودان أن تجعل مديرياته ممالك مستقلة يسهل بسط الحماية عليها فيكون حكم السودان قليل النفقة ولكن أخلاء السودان قد ترتب عليه اتحاده تحت لواء المهدى ثم خليفته ثم نشوب الفوضى فيه وطمع فرنسا وغيرها فى الاستيلاء عليه حين ذاك رأت انجلترا إن السبيل اليسير عليها ويداحتلا لها قوية فى مصر وسلطانها نافذا عليها أن يكون إعادة السودان باسم مصر مقرونا باشتراك انجلترا وبقيادة أحد ضباطها وأن يترك للحوادث أن تكمل الباقى .

ومن ثم استمرت الحرب سجالا بين الجيش المصرى و بين جيش المهدوية حتى دخل (كتشنر) أم درمان عاصمة السودان فى ٢ سبتمبر ١٨٩٨ وإستباح جنده المدينة ثلاثة أيام لاحرج عليهم فيها من القتل والنهب وانتهاك الحرمات . ومن قبل ، واتباعا للخطة المرتبة ، استرد الانجليز (فاشورة) باسم مصر وعلى انها جزء من وادى النيل واستطاعوا أن يخرجوا فرنسا منها بهذه المناورة البارعة ثم عن لهم بعد ذلك تغيير اسمها ، حتى تضيع معالمها التاريخية من أذهان الناس ومن صفحات التاريخ . فسميت (كورول) .

ولكن التاريخ ما زال يذكر أن كتشنر تقدم لاخراج (مارشان) من (فاشورة) باسم مصر أى باسم وادى النيل . فى الوقت الذى تقدمت فيه فرنسا لإحتلالها رغبة فى إحراج انجلترا واملا فى إخراجها من وادى النيل

وكان هذا الاحتلال الانجليزى الخطوة الثانية لتنفيذ ذلك البرنامج الطويل تلتها خطوة ثالثة هى عقد إتفاقيه ١٨٩٩ سراً ، ومن وراء الستار .

فكان للانجليز بها السلطان الكلى والسيطرة الكاملة .

وأدى ذلك إلى تقرير (ملنر) فى مذكرة بتاريخ (٩ - ١٢ - ١٩٢٠) إن السودان يختلف كل الاختلاف عن مصر فى أوصافها وتركيبها وكون حالتها السياسية محدودة تحديداً جليا فى إتفاقية ١٩-١-١٨٩٩ كما أن السودان

تقدم تقدما عظيما تحت إدارته الحالية وان المصريين لا يحبون الخدمة فى السودان .

ثم جاءت الخطوة الرابعة وهى طرد الجيش المصرى من السودان سنة ١٩٢٤ وبدأت حركة الانفصال وخلق فتنة العناصر ، ومحاولة قتل العاطفة المصرية السودانية والاستعانة على ذلك باساليب عجيبة ودعايات سيئة ومناورات صغيرة دبرت خصيصا لتوغر الصدور ولتفسد ما بين أهل الشمال والجنوب ولترمى مصر بالظلم والاستبداد .

وبدأت انجلترا تستغل فى السودان رؤس الاموال الاجنبية حتى بلغت جملة القروض ١٦٫١٨٣٫٠٠٠ جنيه تدفع لها حكومة السودان ٨٩٧٫٠٠٠ جنيها فوائد فى العام .

وخطت انجلترا الخطوة الخامسة بعقد إتفاقية النيل ١٩٢٩ وبها إستطاع الانجليز أن يزيدوا شعور أهل الجنوب على أهل الشمال حفيظة وكراهية والانجليز يفهمون أهل السودان أن فرصا كثيرة فى الزراعة والمحاصيل كانت مهياة وضاعت من أيديهم إذ أن الأرض الخصبة موجودة واليد العاملة موجودة معدة ، ولا يبقى إلا الماء الذى يمر فى أرضهم ويمنعهم من إستعماله (إتفاقية مياه النيل) فمصر هى التى تحول بينهم وبين هذا الخير ، فتكون نتيجة ذلك أن تترك هذه الدعاية الباطلة المضللة أثرها السىء فى نفوس أهل الجنوب .

ويحدث (١) احيانا أن يعمد بعض الزراع إلى أخذ جانب من نصيب مصر فى الماء ، عادة من النيل الابيض يروون به أرضا لهم ويحدث أن تتغاضى السلطات السودانية المختصة عن هذه المخالفة ، حتى إذا بلغ الزرع تمامه ، تبادر هذه السلطات إلى إخطار مفتش الرى المصرى فى السودان

---

(١) كتاب (كنت فى السودان) ص ٨٥ للاستاذ صبيح

بان مخالفات الرى حدثت فى منطقة كذا وكذا وأن المفتش الانجليزى مستعد لاتلاف الزروع التى نمت بهذا المال المختلس من حق مصر حتى تحترم إتفاقية النيل .

ويرد مفتش الرى المصرى بانه لا مانع من ترك الزرع لزراعة هذا العام على ألا تتكرر المخالفة فى العام القادم وتكون النتيجة فى هذا أن يحصل الزراع السودانيون على المحصول وأن يمنعوا فى العام القادم من الزرع بعد أن ذاقوا طعمه وملأوا جيوبهم من كسبه وهم لا يعرفون أن هناك إتفاقية تمنعهم ولكن يعرفون أن مصر ومهندس ريها هم السبب فى هذا الحرمان فتمتلىء نفوسهم ألما ومرارة وسخطا على مصر .

وهذه دعاية خطيرة يستعان عليها باتفاقية النيل » ا . ه .

وتقدمت انجلترا للخطوه السادسه بفصل (المناطق المقفلة) .

وقسمتها بين الكاثوليك والبروتستانت وجعلت شرقى جبل الرجاف منطقة نفوذ للكاثوليك وغربية منطقة نفوذ للبروتسنانت .

ونشرت هناك اللغه الانجليزيه والديانه المسيحيه وتدفع حكومه السودان ٢٣ الفا من الجنيهات سنوياً لبعثات التبشير فى جنوب السودان .

وتغرى الكنائس هذه القبائل بملابس فى نظير اعتناقهم المسيحية وهذا هو السر فى ابقاء هذه القبائل عادية وفى خطر بيع الأفسم هناك .

ثم جاءت الخطوه السابعة بعقد معاهدة ١٩٣٦ التى أكدت سلطان انجلترا وسيطرتها على السودان وبقاء الوضع الحالى واستمرار تنفيذ سياسة السودنه والانفصال .

حتى كانت الحرب الأخيرة عاملا من أكبر العوامل استيقظ خلالها الشعور القومى والوطنى وعملت انجلترا على مقاومته فعند ما أنشىء نادى الخريجين أنشأت انجلترا المجلس الاستشارى وعندما أنشىء حزب الأشقاء أنشأت انجلترا حزب الأمة .

وعضدت مندوبى حزب الأمة وعندما سافروا إلى لندن وأكرمتهم فى الوقت الذى أغمضت عينها متعمدة عن مندوبى المؤتمر .

ولا خوف اليوم على الوحدة أبداً ، وكفه الاتصاليين أرجح وأقوى ولهم فى مصر أنصار وأعوان والأحزاب والهيئات جميعها تؤازرهم ، ولا غرو فهو الحق الطبيعى والاتجاه الصحيح .

أما دعاه الإنفصال فهم مهما بلغ شأوهم اليوم ، بفضل الدعايه الانجليزية المغرضة ، وبطريق الاغراء بالمناصب والنضار فهم إلى زوال ونكوص .

ومهما قصرت السياسة المصرية والأحزاب والزعماء فى الماضى فى إغفال هذه الوحده ، فإن الظروف القاهره نفسها هى التى كانت تحول دون تحقيق هذا الأمل ، أما اليوم فلا شك أن التجاوب قد أوفى على أعلى درجاته والصلة القوية الصادقة قد انعقدت فلا محيص عنها ولا رجاء دونها .

بقيت مسألة هى الحلقة الثامنة فى هذه المؤامرة الشائكة تلك هى (مسألة الاستفتاء) وهذه فى نظرى أعقد مسألة فى نظر انجلترا ، وستكون هى قبر الانجليز الذى سيرديهم .

أن الإستفتاء لا يكون أبدا فى مصلحة الإنجليز وشاهدنا أن الأحزاب السودانية اليوم مجمعة على وحدة وادى النيل إلا حزبا واحدا .

ويقتضى إذا ما أجرى الاستفتاء أن يخلوا الادارة الانجليزية عن السودان جلاءا تاما ، وإن تكفل الحرية للسودانيين لأن يدلوا بأرائهم دون أى مؤثر .

وأعتقد أن السودانين يأبون هذا الوضع ، لأن قضية الوحدة لا تفتقر إلى برهان فضلا عن أن سياسة العالم الجديد تسير إلى التكتل والالتئام بين الأجناس المختلفة فهى أدعى إلى الوحدة بين أبناء النهر الواحد والدين الواحد والوطن الواحد .

والواقع أن قبول الاستفتاء هو إقرار أولى بمبدأ الفصل ، والاستفتاء

هو قبول شيء متنازع عليه ، وموضوعنا لا يجوز فيه التنازع فضلا عن أن سلطان الاحتلال والجبروت والمال والنفوذ هناك مما يكون أداة لخلق رأي عام مزيف .

ويقول الأستاذ اسماعيل الأزهري في معرض الحديث عن الاستفتاء .

وإنما يخاف هذا الاستفتاء يخشاه الانجليز الذي يهددون به مصر وذلك لسببين أحدهما أن طبيعة الشعوب المغلوبة تميل إلى تغيير الأوضاع فإذا عهد إلى لجنه دوليه باستفتاء السودانيين فانهم بلا شك سيطالبون بتغيير الحكم الانجليزي والسبب الآخر هو صعوبة تحديد ما يجري فيه الاستفتاء هل هو الاستقلال أم وحدة وادي النيل تحت التاج المصري ومقطوع منذ الآن ان شعب السودان سيختار الوحدة .

ويضع الانجليز أمامهم حلقات أخرى كقانون الجنسية السودانيه ودستور السودان .   وبعد

فان كل هذه المحاولات الاستعمارية التي تحاك في الظلام قد أشرق عليها نور الحرية فبدت حائله صغيفه ، ولن تستطيع أن تثبت أمام الأضواء القويه وستتحطم هذه المحاولات وتضيع لا محالة ولن تستطيع قوة مهما عظمت أن تمزق وحدة وادي النيل هذه الوحدة التي دعمتها العوامل الكثيرة الطبيعية المشتركه .

وستقوم في القريب دولة وادي النيل المتحده القويه من المنبع إلى المصب ونحن الان في حاجة إلى أن نرتب خطوات العمل القويه فنلغي أولا اتفاقية ١٨٩٩ التي عقدت تحت ضغط الاكراه والتهديد وتلغى معاهدة ٣٦ التي أكدت قواعد هذه الاتفاقيه الباطله ثم يقوم أساس الوحده على جلاء الانجليز عن مصر والسودان ثم تنظم العلاقة بين القطرين على الوجه الصحيح

والمصريون والسودانيون - كما يقول فضيلة الأستاذ حسن البنا - أحرياء بأن يسووا أمورهم فيما بينهم كما يسوى الأهل شئون دارهم فلا ضير أن يحكم أحدهما الآخر ولكن الكارثة أن تحكمهما انجلترا .

واعتقادي أننا صممنا ولا رجعة فيما أردنا ولن نسمح أبداً للنيل بأن ينجزأ .   والله غالب على أمره ؟

على موائد المفاوضات

دعاة « الوطنية » لا يؤمنون مطلقا بالمفاوضات ولا يعتبرونها مساومة ولا يقرون مبدأ المعاهدات إلا بعد الجلاء على أساس أن تقوم بين الند والند على قدم المساواة وعلي أساس الفائدة التي تنتظر من ورائها فلا تكون قسرا ولا إرغاما ، أما المحالفات العامة او العسكرية فهى عبودية لا شك فيها ومن الخير تجنبها ، واستقبال عهد هادىء كريم تلتفت فيه مصر إلى حياتها الاجتماعية والروحية والاقتصادية فتنشأها من جديد على قواعد الاسلام الحنيف وتشريعه وأهدافه .

ثبت مشاريع المعاهدات

سعد-ملنر ثلاث مشاريع (١) مشروع أولى من ملنر (٢) مشروع من سعد فى ١٧ يولية ١٩٢٠ (٣) مشروع نهائى من ملنر فى ١٨ أغسطس ١٩٢٠
« عرض على الأمة وترك لها حرية بحثه وقدمت عليه تحفظات .

عدلى-كرزن (١) طلبت انجلترا وفد رسمى فتشكل برئاسة عدلى باشا فى يولية ١٩٢١ لم يؤيده الوفد

تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ (ثروت وصدقى)

سعد - مكدونالد فاوض سنة ١٩٢٤ وفشلت المحادثات ثم حدث مقتل السردار فى ٢٣-١١ - ١٩٢٤ وقدمت انجلترا إنذارها المعروف

ثروت - تشمبرلن مفاوضات أغسطس-نوفمبر ١٩٢٧ (انتهت بالفشل)

محمد محمود-هندرسن فى ٣ أغسطس ١٩٢٩ وإنتهت بعرضها على الوفد لاقرارها فطلب إجراء إنتخابات جديدة وهتف الهاتفون (الرأى تحت القبة)

النحاس - هندرسن أجراها فى (ابريل - مايو ١٩٣٠) وفشلت

آراء في المفاوضة والمعاهدة والمحالفة

١) كفى تسخير أقوى الشعب في بناء مجد الأشخاص (جريدة الأهرام ٢٧-٨-٤٦)

المفاوضات التي قبلناها على أساس أنها وسيلة مشروعة للوصول إلى حقوقنا اتخذوها وسيلة من وسائل كسب الوقت.

الوسيلة الطبيعية للعمل الايجابي التحرر العاجل من الدكتاتورية التي توسل بها بعض الزعماء في تسخير قوى الشعب في بناء مجدهم الشخصي.

.. هذه الدكتاتورية الغاشمة التي تفرضها حفنة من الزعماء على الملايين من افراد هذا الشعب سعيا وراء تحقيق مآربهم وارضاء لشهوات نفوسهم فهم لا ينظرون إلى مصلحة الوطن بقدر ما ينظرون إلى مصلحتهم ويجندون لها القوى

٢) نداء الحرية (الأستاذ فتحي رضوان) ١٥-يونيو-١٩٤١

أننا نمر بنفس الدور الذي مرت به القضية المصرية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، فالانجليز هم الانجليز والمصريون هم المصريون.

الامبراطورية ... هي القاعدة في كل تفكيرهم السياسي والرغبة في التهدئة والتخدير والتنويم هو حافزهم في كل مفاوضة وهدفهم في كل معاهدة.

والمصريون لايزالون على الضعف الذي بدأوا به الحركة التي أسموها حركة وطنية. فهم يظنون أن الحصول على شيء خير من لا شيء.ويعتقدون أن هذه هي الطريقة العمليه التي تتقدم بها البلاد ولو واجهوا الحقائق لوجدوا أن مصر في عهد الاحتلال، وفي عهد الحماية، وفي عهد الاستقلال وفي عهد المعاهدة هي هي لم تكسب شيئا ولم تتقدم خطوة والانجليز هم هم أصحاب الكلمة الحقيقة والمصريون ستار لهم.

.. .والسفير الانجليزي بفضل جيش الاحتلال يفصل في كبريات الأمور

ويدع لنا سفاسف الحياة وتوافهها لنتنافس عليها وتتقاتل . ولكن ساستنا لا يعرفون هذا لأن المدرسة التي تقوم بالمفاوضات في سنة ١٩٤١ هي المدرسة التي فاوضت سنة ١٩٢٠ ونفس الأسماء ونفس الأشخاص مع فارق واحد هو أن مصر الان مصابة بعشرة الأحزاب صغيرة وكبيرة قديمة وحديثة وبجرائد ومجلات وبصالات رقص وبمحطة اذاعة .

٣ ـ (٢٣ أغسطس ١٩٤٦) الاستاذ فكرى بك أباظه المحامى

« أقبلوا ما يعرضه الانجليز فشيء خير من لاشيء »

هذا هو لسان حال النفعيين والذاتيين ورجال المال والأعمال والمخلوعة قلوبهم والمنتزعه ضمائرهم والمتزلزله عزائمهم .

منهم طلاب حكم وجاه ومنهم المستوزرين ، ومنهم عشاق نفوذ محلى ضئيل هزيل من طائفة البرلمانيين ، ومنهم ضعاف بحكم الخلقة والسليقة والتربية يخشون أن تدق ساعة الجهاد من جديد . . هؤلاء هم الطابور الخامس الذى يعمل ويحاول جهده أن ينفث سمومه فى تلك الحلقات السياسيه . . .

(والدم الجديد) الفوار لا يؤمن اليوم بزعامة ولا بحزبية ولا ببرلمان ، وإنما يؤمن بشيء واحد هو الاستقلال الصحيح والحرية الصحيحة ووحده وادى النيل .

٤ ـ (المصور ٢٥ ـ ١٠ ـ ١٩٤٦) الاستاذ وهيب بك دوس

بلونا الانجليز كمفاوضين من سنة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٣٦ فلم تتبدل أغراضهم ولم ينزلوا عن شيء منها فكانت هى بعينها تعرض فى صور من الصيغ المختلفه طوال هذه السنين بل يرى البعض أن معاهده ١٩٣٦ كانت فى الواقع أسوأ من بعض المشرعات السابقه حيث جعلت من الاحتلال

امراً معترفا به بعد أن كان من الوجهة الدولية غصباً صريحا يحاول الانجليز تصحيحه كل هذه المدة بين سنة ١٨٨٢ وسنة ١٩٣٦ .

وإذا كان هذا ما علمتنا إياه التجارب القاسيه القريبة العهد فكيف يفهم مصرى أمكان الوصول إلى حقوق البلد التى ليست محل نزاع عن طريق المفاوضة ؟ .

كيف ينتظر مصرى من الساسه الانجليز انصافا للمطالب القومية وهم نهازون للفرص لا يتورعون من أى إثم فى سبيل توطيد أركان (امبراطوريتهم) على حساب الغير .

هم يحرصون على المفاوضة والمطاوله لأن الوقت يخدمهم ولأنهم ينتظرون أن ينجلى الجو فى السياسه الدولية حتى ينفردوا بنا .

٥ - نداء الحرية العدد (١١) ١١ سبتمبر ١٩٤٦

المفاوضات فى رأى الوطنية شر وهى وسيلة لقتل الروح الوطنية وقهر عناصر القوة والتقدم فى البلاد ، علاوة على أنها مساومة ومماطلة واستجداء وضعف وتفريط فى الحقوق وصرف المجاهدين عن سلاحهم إلى المناقشات البيزنطيه التى تقتل الهمم وتثير الأغراض الشخصية وتحرك الشهوات فنحن أصحاب حق والانجليز أما أن يردوه الينا كاملا ، وأما أن تنقطع بيننا وبينهم الأسباب . لا مفاوضة إلا بعد الجلاء ، قالها الحزب الوطنى وقالتها سوريا ولبنان .

تاريخ المفاوضات

(١) كتب (جرانفيل) فى سنة ١٨٨٢ إلى (دوفرين) فى استانبول يأمره بأن يسافر إلى مصر لدراسة حالها وقال له ما يأتى بالنص
(ترغب انجلترا أن يكون الاحتلال لمدة قصيرة بقدر الامكان)

وقد كان هذا سخرية عجيبة بالمصريين إذ أن هذه الفترة القصيرة لم تكن تستدعى سفر (دوفرين) ليضع فى مصر أسس استعمار غاشم لا يرى معه وجه الحرية ولا الاستقلال ، فضلا عن أن هذا الاحتلال القصير المدى لا يزال قائما ، كأن هذه المدة القصيرة فى التعبير الانجليزى لابد أن تكون نصف قرن من الزمان .

الحقيقة أن نية الانجليز واضحة صريحة لا لبس فيها ولا غموض ، إنها نية المستعمر الظالم الطاغية الذى لا يعرف الانسانية ولا العدالة ولا حقوق الأمم فى الحرية أو العزة

وإن علينا أن نلقى هذه النيات السيئة بشك دائم ، وسوء ظن ، أما (الصداقة) التى يشير بها فريق من الزعماء فأنها تساوى فى نظر الانصاف: مماثلة الاستعمار والرضى به

إن نوايا انجلترا سيئة للغاية ، وهى تنطوى دائما على الحقد والغدر والظلم فلابد أن نقابلها نحن باليقظة وعدم الثقة وسوء الظن أيضا ونجاهدها ما وسعنا الجهاد

(٢) القاعدة فى العلاقة بين مصر وانجلترا منذ مشروع لجنة ملنر إلى معاهدة ١٩٤٦

« عقد معاهدة بين مصر وانجلترا تعترف فيها انجلترا باستقلال مصر وتبرم بموجب هذه المعاهدة محالفة بين مصر وانجلترا تتعهد بمقتضاها

انجلترا أن تساعد مصر فى الدفاع عن سلامة أرضها وتتعهد مصر بأنها فى حالة الحرب حتى ولولم يكن هناك مساس بسلامة أرضها تقدم داخل حدودها المساعدة التى فى وسعها لانجلترا وتقبل مصر أن تمنح انجلترا حق إبقاء قوة عسكرية فى الأراضى المصرية لحماية مواصلاتها

وهذه العبارات تلخص المعاهدات ومشروعاتها ومحاورات المفاوضات وقد وضعت فى أكثر من عشرين صيغة تختلف لفظا ولم تتغير فى المعنى

(٣) كلما (١) أحست مصر ذل القيد وأفرحها ثقل القيد وقامت فيها صيحة من الحرية اجابت انجلترا بتصريح باستقلال أو وعد بجلاء حتى لا تدع لتلك الفورة مجالا للتحول إلى حركة شعبية عامة أو ثورة جامحة وبذلك تطفىء جذوة الشعور فى مهدها فلا تحس الأمة حقيقة عبوديتها ولا تستشعر لذة التحرر الكامل والاستقلال المنشود

(٤) تقلونا من الشعور الوطنى إلى سلطان الحاكم وجلاله . وفتنة المناصب والألقاب ، وخلقوا بيننا دعاة المساومة على الحقوق الذين يصورون الأمور بصورة لا تستقيم إلا بارتباطنا مع الانجليز باسم المصالح المشتركة . وهؤلاء هم الذين آمنوا بالمفاوضات كوسيلة (فاشله) لتحقيق الأهداف ، واتخذوها طريقا لتخدير أعصاب الجهاد والنضال

(٥) هذا التفاهم حول موائد الشاى ومآدب الطعام ليس من الوطنية فى شىء فما بيننا وبين الانجليز لا يحتمل هذه المجاملات الكاذبة والمماحلات الباطلة ، وما بيننا وبينهم إلا حق مطلوب لا مناص من اجابته ، فأما ان يجاب بالكامل ، وأما أن تسير الأمة فى طريق كفاحها المشروع ، ونضالها الطبيعى لنواله

(٦) المفاوضة هى المساومه بأكمل معانيها وهى التفريط بأشد صوره وأقساها

---

(١) الاستاذ صلاح عبد الحافظ

وهل يمكن مطلقا أن يقبل عقل العاقل أن يساوم فى الحقوق الوطنية الطبيعية حقوق الكرامة والحرية والاستقلال والعزة والابقاء على الكيان الوطنى كاملا سليما وهل هناك مجال للمساومة فى هذه الحقوق الطبيعة للامم والافراد والشعوب ، وخاصة اذا كانت هذه الشعوب قوية رشيدة متحفزة ناضجة ، فى قلوب ابناءها فوره ، وفى نفوسهم ثورة وفى عقولهم فهم ، وفى اطوائهم ايمان صادق .

٧ ـ السياسة الانجليزية سياسة لف ودوران ومماطلةومحاولات متصلة تتلاعب بالالفاظ والاوضاع وتعتمدعلىالتغييرات ، وهىفىصميمهاسياسة استعمار وبقاء واحتلال واستعباد وفى سبيل هذه الغاية تتخذ كل الوسائل من خداعوكذب ووعود باطلة ومساومات وتأجيلاتومحاولةالايقاع بين ابناء الوطنالواحد وتمزيقالوحدة وهدم القوىالعاملةوالقسوةعلىالعاملين والنفى والتشريد والسجن والارهاب

٨ ـ الانجليز المحليون،أصحاب رؤسالأموال والشركات لهمأبعدالاثر فى توجيه دفه السياسة الانجليزية،وهميصيحوندائما صيحات منكرة مفزعة ازاء كل نهضة جديدة يتخوفونعلىأموالهم ، وهملا يستطيعون الحياة إلا فى ظل الاحتلال والاستعمار ليطئوا رقابأبناءالبلادويستنزلوهمويتمتعون بالامتيازات الواسعة فى السيطرة والسلطان وهم يرون فى كل نهضة وطنية تهديد لهم فى مراكزهم ومواطن نفوزهم ، ويدعون دائما أن الامة قاصرة عاجزة عن حكم نفسها وولاية شئونها .

ولودروا لعرفوا أن مصر تكرم ضيوفها على شريطهأن يعرفوا لهاكرامتها ولا يقفوا فى سبيل حريتها وانها عندماتتحقق آمالها وحريتهاستكونمثال الوفاء كما كانت وستسوى بين النزلاء الاجانب وأصحاب البلاد تماما وتقيم بينهم العدالة والاخوة ما أقامو علىالخلق الكريم لهممالنا وعليهمماعلينا .

٩ – ليس ثمة مفاوضة فى حق إنسانى (كالحرية) ثم أن المفاوضة بيننا وبين الانجليز ليست إلا من نوع من انشاء علاقة بين الحمل والذئب وهى لا تعود إلينا بكسب أبداً فقد حاربناها فى معاهدة ٣٦ والمعاهدات دائما فى عرف الدول تدفع الدول الصغيرة راغمة إلى الوفاء بالتزاماتها وتفسر نصوص المعاهدة عليها مادة وروحا كما يشاء الطرف الثانى القوى فى الوقت الذى لا يقوم الطرف الآخر فيه بالوفاء بأى التزام ، بل على العكس ينقض دائماً التزم الوفاء به

ونحن من معارضى مبدأ المفاوضة ، ومعارضى مبدأ المعاهدة ، ومعارضى مبدأ التحالف العسكرى ، مالم يسبق هذا كله جلاء كامل شامل عن وادى النيل كله ، ثم نتبين موقفنا هل من مصلحتنا كدولة حرة أن نرتبط مع انجلترا بمعاهدة وكل سيعود علينا من هذا الارتباط خير ؟ إن كان الجواب بالايجاب ارتبطنا ، وإلا فلا

١٠ – ما يزال الشعب منذ ثورة ١٩١٩ وهو متمسك بمطالبه وحقوقه . الجلاء ، وحدة وادى النيل ، لا حماية ولا وصاية ولا احتلال .

ولكن الانجليز أيضا مازالوا متمسكين باستعمارنا منذ سنة ١٨٨١ ، والزعماء الذين برزوا على أكتاف الثورة نزلوا على مطالب الانجليز ، وحاربوا الشعب ، وحاولوا مدى ربع قرن اخماد صوته وكانوا دائما ينصحون للبلاد بقبول ما يعرضه الانجليز .

ولا تزيد هذه اليقظه ، وهذه الحركات المتصله من اعلان الشعور الوطنى من شعور الانجليز الأعتوا ، ولا تزيدهم الا تمسكا بالاحتلال الفعلى بألفاظ ظاهرها الجلاء والحرية وتسميه الطرف المصرى بالطرف السامى ! ولا زال زعمائنا الذين فأوضوا الانجليز سنة ١٩٢١ هم الذين يفاوضون سنة ١٩٤٦ .

١١ – كان مقتل ثورة ١٩١٩ فى قبول نظام المفاوضة مع انجلترا أن **هذا المبدأ الذى أعان انجلترا على تثبيت الاحتلال تحت ستار (التسوية) كما ورد فى تقرير ملنر سنة ١٩٢١ إذ قال أن الغرض من التسوية وضع معاهده تحالف**

تعقد بين الفريقين باختيارهما ، تقرر استقلال مصر وتنيل انجلترا كل التأمينات والضمانات التي تراد من الحماية بالمعنى الذى نفهمه نحن) .

ومعنى هذا أن هناك اصرار من جانب الانجليزعلى تخدير الأعصاب بالألفاظ لأن مصر تؤمن بالألفاظ .

١٢ ـ وانتهى الأمر ـ بالطبع ـ بلون جديد من العاطفة المنمقة المنافقة ، واستعمال الفاظ الصداقة والتحالف والحليفة وتدعيم الصداقة بعد أن كان الأمر بيننا وبين الانجليز خصومة وعداء لا ينتهى إلى أمر سوى اقرار انجلترا بأنها معتدية يصحبه جلاء فعلى عن أرض الوطن كله .

١٣ ـ وإصبحت المسألة مسألة مساومة وتسوية ونصوص تحوير وتغيير وتبديل يصحبها التهديد بالأسطول وبالحراب ، وبجيش الاحتلال ووعيد للمفاوضين بغيرهم من الأحزاب الأخرى ، ومناورات ومؤامرات عجيبة غريبة وجو صاخب كله سوء نية لاحد لها من جانب الانجليز .

١٤ ـ إن مشروع كرزن الذى عرض على أول وفد مفاوضات رسمى ورفضه عدلى وكان عارا فى جبين الوطنية المصرية لا يزال يعرض علينا خلال مشاريع المعاهدات الجديدة بألفاظ جديدة وهو فى صميمه لم يتغير .

١٥ ـ (١) تلجأ إنجلترا إلى المفاوضات لبذر بذور الفتنة والشقاق فى الأمة الموحدة (٢) ولصرف المجاهدين عن سلاحهم إلى المناقشات البيزنطية التى تقتل الهمم (٣) وإلى فل السلاح الوطنى وثلمه .

والمفاوضات عند إنجلترا هى الوسيلة العظمى لقتل روح الوطنية وقهر عناصر القوة والتقدم فى البلاد وإن الذين يفاوضون إنجلترا من المصريين سيكتب عليهم التاريخ وزر هذه الأغلال الحديدية التى وضعوها فى أعناق الأمة وتستطيع إنجلترا أن تفهم الرجعيين من زعمائنا الذين تعلموا فى مدرسة الاستعمار أن الجهاد هو الشغب والتدجيل والتضليل .

---

(١) اللواء الجديد

١٦ـ (١) لم تكن كياسة ثروت ودهاءه هما معا سبب إصدار تصريح ٢٨ فبراير ، ولكن انجلترا أقدمت على استصدار هذا التصريح لتطفىء نار ثورة ١٩١٩ ولتسكب على العواطف المتقدة ماء . .

١٧ـ نصوص من تقرير ملنر ١٩٢١

« ومن حسن الحظ أننا وجدنا أن المحادثات غير الرسمية التى دارت بيننا وبين أناس من أقطاب مصر ! تغذى الأمل بأن (تسوية) مثل هذه ليست مما يستحيل الوصول اليه على مبادىء جديدة فقد إتفقت كلمتهم على أن يرفضون كل حالة سياسية منحطة توجبها عليهم الحكومة الانجليزية ولكنهم يرحبون بمعاهدة تحالف تعقد بين الفريقين برضاهما تقرر استقلال مصر وتنيل إنجلترا كل التأمنيات والضمانات التى تراد من الحماية بالمعنى الذى نفهمها نحن به . وكان غرضنا دائما أن نجد قاعدة لمحالفة توضع فوق كل المحاولات على الألفاظ والعبارات وتكون الحل الوحيد النهائى للعلاقات بين مصر وإنجلترا » اهـ

ومن هذا النص نعرف (١) أن هناك عار وصغه زعمائنا على صفحات تاريخهم هو قبولهم المساومة وترحيبهم بمعاهدة ظاهرها ألفاظ الاستقلال وباطنها نار الاحتلال والاستعمار (٢) وإن انجلترا ستحاول التحايل على الألفاظ والعبارات لترضينا بها ، لأنها تعرف مدى سطحية فهم هذا الشعب ومدى إقتناعه بالألفاظ ؟

١٨ ـ نص آخر من تقرير ملنر .

« اما المصالح الانجليزية الجوهرية فهى أن المواصلات التى تخترق الأراضى

المصرية يجب ألا تهدد بخطر سواء كان باضطرابات داخلية أو باعتداء أجنبى ، وألا تعود إلى مصر منافسة الدول التى تتنافس على التفوق فيها ، وأخيرا ألا تجرى مصر المستقلة على سياسية معادية للامبراطورية تكون مجحفة بها ، ولذلك فان كل معاهده تعقد بيننا وبين المصريين يجب أن تضمن المركز الخاص للمندوب الانجليزى فى مصر وتمكننا من بقاء قوة داخل الأراضى المصرية لحماية مواصلاتنا و نتخذ التأمين الكافى على أن السياسة المصرية تكون مطابقة لسياستنا » ومن هذا تعرف نصوص قواعد الاحتلال الذى ماتزال انجلترا بالاتفاق مع زعمائنا تنفذه حرفيا .

معاهدة ١٩٣٦

أضخم كارثة عرفتها مصر بامضاء صك
العبودية والذل والهوان سنة ١٩٣٦ خفق بها
المصريون لأنجلترا أملا ظل يداعب أحلامهم
أكثر من ٥٠ عاما .

١ ـ بدات بمحادثات بين (نسيم ـ لا مبسون) ترمى إلى عقد محالفة عسكرية ، ثم توحدت الصفوف وتألفت الجبهة الوطنية فى ١٥ - ١٢ ١٩٣٥ ثم طلبت الجبهة المفاوضة على أساس مشروع سنة ١٩٣٠ فجاء الرد بأن المناقشة تقدم أولا على المسائل العسكرية فإذا اتفق عليها نوقشت المسائل الأخرى .

٢ ـ هددت انجلترفى ردها بأنه فى حالة فشل المفاوضات فى الوصول إلى اتفاق سيكون لذلك أخطر العواقب ، ويتعين على انجلترا أن تعيد النظر فى سياستها فى مصر ، كما أشار الرد إلى أن المفاوضات تجرى مع جميع الأحزاب (ومعنى هذا أن مفاوضات ١٩٣٦ ومعاهدتها قامت فى ظل الارهاب ولم تكن حرة) والمطالع لنصوص هذه المعاهده يعلم اننا قد التزمنا فيها بالتزامات جائزه ظالمة قتلت أبناء الشعب جوعا وعريا وعرضتهم للحتوف وعرضت كرامتهم وأعراضهم لشر بالغ .

٣ ـ اتجهت النية إلى تأليف وزارة ائتلافية فلم يقبل الوفد فاجريت الانتخابات ، وبدأت المفاوضات فى ٢ مارس ١٩٣٦ .

٤ ـ معاهده ٣٦ سماها البعض معاهدة التل الكبير ، لأنها جعلت الاحتلال شرعيا ، ولم تكن قبلها نعترف للانجليز بأى حق فى بقائهم فى البلاد ، ولم يكن معترفا بشرعية اتفاقية ١٨٩٩ ، وكانت تحفظات الانجليز التى قرنوا بها تصريح ٢٨ فبراير غير ملزمه لنا بشىء لأنها من جانب واحد

فلما عقدت المعاهده جعلت هذه التحفظات أحكاماً فى المعاهدة وبعد أن كان الاحتلال عنوة أصبح مقرراً بمعاهدة صريحة معترف بها فى جمعية الأمم ومعلنة للدول كلها ، واتخذت من بلادنا قاعدة حربية .

٥ ـ العجيب أن مصر التى جاهدت جهادا متواصلا منذ دخول الانجليز فى سنة ١٨٨١ إلى سنة ١٩٣٦ ولم تقبل أى مشروع من مشاريع المعاهدات طيلة هذا الوقت ، وضحت بأبنائها وشهدائها وتوقفت مرتين عن قبول الحكم إذا بهؤلاء الزعماء يوقعون معاهدة ١٩٣٦ ويهللون لها وتضرب لها المدافع وتجند لها جنود الكاتبين والخطباء ليضحكوا على الشعب بها ويدخلوا فى نفسه الاعتقاد بأنها هى الاستقلال الكامل

وفى هذا الوقت نفسه كان رجال الحكومات فى العالم يعجبون منا ويسخرون على هذا الاحتفال العجيب بوثيقة استعباد فى صورة معاهدة وبهذا الاحتلال الذى أصبح مشروعا بعد ان كان لاسند شرعى له ، ثم إذ بهؤلاء الزعماء اليوم يقرون بأنها كانت معاهدة (ظرف خاص) وانها كانت شراً على البلاد

٦ ـ المعاهدة ليست وثيقة استقلال فمصر مستقلة قبل المعاهدة وفى المواد الثلاث الأولى منها نص صريح أعلنت فيه انجلترا انتهاء الاحتلال واعترفت بمصر دولة مستقلة ذات سيادة

وعلى أساس هذا الاعتراف عقدت المعاهدة لأنه لا يجوز فى نظر القانون أن تعقد معاهدة الا بين دولتين مستقلتين

٧ ـ سعت انجلترا لعقد المعاهدة فى ظروف خاصة لحماية نفسها ومصالحها وتأمين مواصلاتها .

٨ ـ صرح الوفد فى سنة ١٩٣٥ ما يأتى :

يأمل الوفد أن يصل إلى حل القضية المصرية حلا شريفا أساسه تحقيق

استقلال البلاد التام مع المحافظة على المصالح الانجليزية التى لا تتعارض مع هذا الاستقلال وإقامة العلاقة بين . . . العظمى ومصر على أساس المودة وحسن التفاهم

٩ ـ وقع الزعماء المعاهدة بعد أن أعلن المفاوض المصرى سنة ١٩٣٠ أنه تقطع يده ولا يوقع اتفاقية السودان ثم عادموقعى هذه المعاهدة سنة ١٩٤٦ يتبرأون منها بعد أن سموها معاهدة الشرف والفخار وقد سجل الوفد الوفد المصرى على نفسه أنه يتنكر المحالفة العسكرية ولجنة الدفاع المشترك

١٠ ـ وثيقة الشرف والاستقلال هى صورة صحيحة لمشروع ملنر رفضناها سنة ١٩٢١ وقبلناها سنة ١٩٣٦

مواد المعاهدة

١ ـ ورد فى إحدى مواد المعاهدة أنه (فى حالة قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها أن تقدم حكومة جلالة ملك انجلترا داخل حدود الاراضى المصرية مع مراعاة النظام المصرى للادارة والتشريع جميع التشكيلات والمساعدات التى فى وسعها بما فى ذلك استخدام موانيه ومطاراته وطرق المواصلات) .

وعلى أساس مشروع (صدقى ـ بيفن) نصبح مكلفين بإرسال جيوش إلى البلاد المتاخمة فى حالة إشتباك انجلترا مع أعدائها (فلسطين ـ ليبيا ـ جزيرة العرب) .

٢ ـ المادة (٨) تنص على ما يأتى .

(إلى أن يحين الوقت الذى يتفق فيه الطرفان المتعاقدان على أن الجيش المصرى أصبح فى حالة يستطيع معها أن يكفل بمفردة حماية الملاحة فى القناة وسلامتها التامة يرخص لملك انجلترا أن يضع فى الاراضى المصرية

بجوار القنال قوات تتعاون مع القوات المصرية لضمان الدفاع عن القنال).

والسر فى قصور مصر عن حماية قناة السويس هو أن انجلترا تغل يدها عن تكوين الجيش القوى الصالح لحماية حدود مصر ومرافقها . فهذا السلطان الذى يفرضه الانجليز وهذه القيود التى يقيدوننا بها هى التى تحول بيننا وبين الاستعداد الكامل للدفاع عن الوطن، هذا مع العلم بان تاريخنا حافل بالأدلة والبراهين على قوة المصريين وصلاحيتهم للجيش والحراسة .

٣ ـ قدمت انجلترا لنا البعثة العسكرية بدعوى تنظيم الجيش وهى مكونة من خبراء عسكريون (١٥٠ ضابطاً وصف ضابط) كلفو الخزانة سته ملايين من الجنيهات وقد اعتبرت التقارير التى وضعتها البعثة قوة ملزمة تنفذ بدون معارضة من جانب الجيش المصرى وكل ما نفذ إلى الآن (مشروع للواء الاشارة للتدريب فى طريق السويس ـ والثانى مشروع عبور نهر على ترعة الاسماعيلية) فهل هذين المشروعين هما كل ما قدمت البعثة لتنفيذه من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٤٦ .

٤ ـ من المنتظر تحويل البعثة العسكرية إلى لجنة دفاع مشترك حسب نصوص الاتفاقية الجديدة

٥ ـ مادة السودان فى معادة ١٩٣٦ (الماده ١١)

مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة فى المستقبل لتعديل اتفاقيتى ١٩ يناير و ١٠ يوليه ١٨٩٩ قد اتفق الطرفان المتعاقدان على أن إدارة السودان مستمده من الاتفاقين المذكورين ويواصل الحاكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين المتعاقدين مباشرة السلطات المخوله له ا . هـ

والواقع أن هذا النص لم ينفذ مرة واحدة فقد كان حاكم السودان يتلقى دائما تعليماته من انجلترا وحدها ويغض الطرف تماما عن علاقته بمصر أو تبعيته لها

٦ - مما استتبع التزامات معاهدة ١٩٣٦ إستصدار تشريع بمنع حيازة عملة أجنبية لا تدخل فى نطاق الكتلة الاسترلينية وهى المرتبطه بالجنيه الانجليزى إلا بترخيص من البنك الاهلى . وكذلك وضعت قيود الاستيراد والتصدير .

ووكل هذا إلى مركز تموين الشرق الأوسط الانجليزى بالطبع ، وقد كان من نتيجة ذلك السيطرة على انتاجنا وحركتنا التجارية الداخلية والخارجية

وفى الوقت الذى ضيقت فيه هذه الهيئة على تموينا حتى جاعت الطبقة الفقيرة ، استغل انتاجنا استغلالا تجاريا عجيبا ، وصدر إلى الجهات التى ارتفعت فيها أثمان هذه المنتجات ارتفاعا فاحشا وقد استتبع ذلك تشكيل لجان أخرى للقطن والكتان وبذلك فقدنا حريتنا فى التجارة والتعامل مع البلاد الخارجية فى حدود العملة الصعبة ودولها ، كان ذلك من مصلحة الجانب الانجليزى لأنه حجزنا عن التعامل مع الدول الأخرى . ولم يسمح لمصر بالتعامل مع دول العملة الصعبة إلا فى حدود ١٥ مليون دولار فى السنة ، ومن المعروف جيدا أن الغطاء الذهبى للنقد فى مصر هو ٦ مليون جنيه فى مقابل ١٣٥ مليون جنيه قيمة أوراق النقد المتداولة الآن ، والزائد عن هذا الغطاء الذهبى هو أذونات على الخزانة الانجليزية وسندات من قرض الحرب ، وهذه مشكلة لها خطرها وأثرها البالغ فى ارتباطنا بالجنيه الانجليزى ونتائجها مما يجب تقديره وبحثه والتفكير فى حله

ومعروف طبعا أن انجلترا ترمى من تقييدها مصر بهذه القيود السياسية والعسكرية الغليظة أن تظل متحكمة فى اقتصادنا ومستأثرة بثروتنا الانتاجية ومسيطرة على استثمار ثروتنا المعدنية وهى تعمل لذلك الوسائل للاحتكار عن طريق الشركات الأجنبية ورؤوس أموالها الضخمة

ملاحظات عامة حول

مشروع (صدقى - بيفن) ١٩٤٦ والمفاوضات

١ — الأسـاس

(١) قيام تحالف عسكرى بين مصر وانجلترا

(٢) وعد بالجلاء لا الجلاء الفعلى

(٣) قيام مجلس دفاع مشترك

(٤) إلزام مصر بارسال جيوش مصرية خارج أراضيها إلى البلاد المتاخمة (فلسطين . ليبيا. جزيرة العرب) لنجدة انجلترا إذا وقع عليها عدوان مسلح

(٥) مسألة السودان

٢ ـ بمعاهدة ٣٦ كانت التزاماتنا داخل الأراض المصرية أما الآن فعلينا أن نحارب خارج مصر ونجند الجيوش .

٣ ـ معاهدة ٣٦ تركت مسألة السودان إلى مفاوضات أخرى أما معاهدة ١٩٤٦ فقد قطعت فيها بما توحى به السياسة الانفصالية .

٤ ـ بمعاهدة ٤٦ يتدخل الأنجليز فى شئون دفاعنا برا وبحرا وجوا عن طريق مجلس الدفاع المشترك "

٥ استمرار الاحتلال الانجليزى لمصر ثلاث سنوات أخرى حتى ستمبر ١٩٤٩ .

٦ ـ ضياع السودان بقبولنا الوضع الانفصالى ، وبقائنا بعيدين عن الاشتراك فى ادارته وقام اتفاقية ١٨٩٩ وتأكيدها مرتين .

٧ ـ لجنة الدفاع المشترك ، ابقاء للأحتلال بصورة شرعية ، وإذا كان رأيها أستشارى فهى الشورى التى تقوم بين القوى والضعيف .

٨ — لم نقف وقعة الحزم الكامل منذ اعلان الهدنة فى يونية ١٩٤٥ بمطالبة الانجليز بالجلاء ولم تقدم المذكرة المصرية إلا فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٥ .

٩ — عرض مشروع المعاهدة بطريقة لم يترك فيها للشعب الحرية فى ابداء راية ، علما بان كل معارضة قوية خدمة للمفاوضة وتقوية لظهر المفاوض واشعار للانجليز بان مصر لا ترضى بالقليل ولا بأن تنال حقوقها على اقساط وعلى المفاوض أن يعرض النصوص عرضا صريحا واضحا للجميع دون تقييد لها كما عرض مشروع ملنر وتصريح ٢٨ فبراير فيكون للامة حرية مناقشتها .

١٠ — حرصت انجلترا على تغيير معاهدة ٣٦ كما حرصت مصر وأكثر ذلك لان كثيرا من نصوص هذه المعاهدة نصوص تجريبية محتاجة إلى أن تحور تحويرا يتفق مع التجارب التى مرت بها كما ظروف الحرب أظهرت للانجليز أهمية بعض النقط التى أغفلت فى معاهدة ١٩٣٦

١١ — ترمى سياسة انجلترا أن ترتبط مصر برباط عسكرى باسم (المحالفة العسكرية) ، وهذه الغاية تتنافى مع الجلاء منافاة تامة ، لأنها تعتبر الجلاء عملية صورية ، ويصبح لانجلترا الحق الشرعى فى احتلال قواعد فى مصر تحت ضغط الظروف الدولية المتقلبة .

١٢ — من (١) شأن التحالف العسكرى بين مصر وانجلترا أن يحمل الدول المنافسة لها على مناصبتها العداء فلن تسكت روسيا عن هذا التحدى والمعاهدة موجهة ضدها .

---

(١) الأهرام ٢٩ — ١١ — ١٩٤٦ الاستاذ عبد الحليم الياس نصير

١٣ - (١) طريقة انجلترا فى حروبها التى ترتطم بها فى تاريخها الطويل المعكر الملغم هى أن تصطاد (الرجال) ليحاربوا عنها قبل أن تحارب هى بالذات ذلك هو التقليد العسكرى فعند ما تنشب الحرب ينصب همها الأكبر على اجتذاب الحلفاء من الدول الصغرى والكبرى وقد حشدت أربعين دولة فى حرب ١٩١٤ وحشدت فى حرب ١٩٣٩ عدداً لا يستهان به ودفعت بملايين الرجال من أمريكا والهند واستراليا وجنوب أفريقا والسودان ومصر وبولونيا وفرنسا وفلسطين وشرق الأودن ونبوز لندا إلى (أتون النار) فى مقدمة الصفوف وتولت بجيشها الانجليزى الصغير الحرب وراء الصفوف فلم تفقد فى هذه الحرب الضروس من العسكريين والمدنيين أكثر من مائتى الف، ووقع عبء التضحية الأفدح والأعظم على (الرجال) من غير الانجليز .

١٤ - (٢) جندت انجلترا فى سنة ١٩١٤ من مصر مليونا من العمال قضى عدد كبير منهم فى الصحارى المحرقة واستولت على الشعير والقمح والذرة والحمير والبغال والأرزاق كلها فماذا قبضنا ؟ قبضنا النكران فكانت ثورة ١٩١٩ ثورة القصاص من خيبة الأمل ومن جزاء سنمار .

١٥ - أعلن تشرشل إنه لم يقتل من الانجليز فى الحرب العالمية الأخيرة إلا ٢٢٣ ألف ، والباقى من جيوش المستعمرات والحلفاء .

١٦ - ليس التحالف لمصلحة مصر مطلقا ، وهو إرغام لنا على أن نقدم كل إنتاجنا وخيراتنا لأنجلترا فى وقت الحرب فى الماضى والمستقبل ، وإن نقدم فى المستقبل أرواح أبنائنا ، وإن قواتنا العسكرية التى سنكونها وندربها ستكون بحكم إقرار مبدأ مجلس الدفاع المشترك تحت أمرة إنجلترا لتستعين

---

(١) المصور ٢٩ - ١١-١٩٤٦
(٢) المصور ٢٧ سبتمبر ١٩٤٦

بهافى حروبهاهى ، لا للدفاع عن بلادنا ، فضلا عن أن تحالفنا معها معناه المجاهرة بعداء الدول متى تختلف معها بلا أدنى فائدة أو موجب

١٧ ـ (١) إننا إذا وقفنـا من إنجلترا موقف الخصومة فإن لدينـا من عناصر القوة ما يحمل إنجلترا على أن تحسب حسابنا ، ولست مغاليـا إذا قلت لك أننا إذا عادينا إنجلترا فسنوجد فى طريقها عقبات لا تقل خطرا عما تضعه روسيا فى طريق إنجلترا .

١٨ ـ (٢) إن كل فرد منهم (أى الإنجليز) مهما علت مرتبته مزيجا مؤلـا من ميراث الطمع ومن مساومة التجـار ومن روح الإستعباد ومن غرور الجيش ومن الاعتداد بالاسطول .

١٩ ـ عبارة خطاب العرش فى ١٥ ـ ١١ ١٩٤٦

بلغت اللهفة القومية أقصاها ، وثورة الخواطر أبعد مداها وتجاوبت أرجاء الوادى بنشيد الأهداف الوطنية ، بالجلاء ووحدة وادى النيل التى أجمعت عليها الأمة بأسرها على إختلاف بيئاتها ونزعات أحزابها وأفرادها فكان إجماعا رائعا معدوم النظير .

٢٠ ـ بدأت المفاوضات فى أبريل ١٩٤٦ واتضح أن معاهدة ٣٦ غير صالحة للبقاء ولا هى قابلة للتعديل واستقر الرأى على وضع معاهدة تحالف جديد ، وقد كان هذا هو الخطأ ، فقد طالبت الأمة من أقصاها إلى أقصاها بالجـلاء ووحدة وادى النيل فحسب ، ولم تطلب لا تعديل المعـاهدة ولا إبرام معاهدة جديدة ولم تقر الأمة التحالف العسكرى ولم ترضاه .أو تقبل المفاوضة إطلاقا فى ظـــل الحراب الإنجليزية وحيش الأحتلال والتهديدات والأسطول

٢١ ـ توقفت المفاوضات مرتين الأول فى مايو ١٩٤٦ ـ والثانيـة فى

(١) حافظ رمضان باشا

(٢) الأستاذ احمد الصاوى (أخبار اليوم)

أكتوبر ١٩٤٦ وصرحت إنجلترا فى ٧ - ٥ - ١٩٤٦ بجلاء جميع قواتها البحرية والبرية والجويه عن الأراضى المصرية ثم حدد مشروع (صدقى بيفن) نهاية الجلاء فى سبتمبر ١٩٤٩ بحجة أن نقل القواعد الانجليزية إلى ليبيا وفلسطين وشرق الإردن وقبرص يتطلب هذا الوقت الطويل .

٢٢ - الأهرام ١٩ - ١١ - ١٩٤٦

١ - هل هناك مبرر يحملنا على أن نضع أبناءنا ومواردنا وأرزاقنا وبلادنا فى خدمة حرب كبيرة طاحنة رأينا أهوال مثلها فى الحرب الماضية القريبة .

٢ - البلاد المتاخمة (فلسطين - شرق الأردن - ليبيا) كلها محتلة بأيدى الانجليز وهى معرضة لعدوان الدول الأخرى ، لأنها قواعد لأنجلترا وسيرى خصومها أنفسهم مضطرين إلى مهاجمة هذه القواعد .

٢٣ - يوجد عند بعض الزعماء والساسة ضعف فى الثقة بوطنهم وبأنفسهم وإيمان بالعجز عن قدرة الوطن على مواجهة أعباء الحرية الكاملة بدون إنجلترا وبدون المحالفة وبدون المعاهدة وهذا طبيعى بالنسبة لهؤلاء وقد عاشوا فى ظل الاحتلال ونشأوا فى مدرسته وهناك منهم من يؤمن أنه ليس هناك ما يمنع من أن تنال مصر حقوقها أقساط وعلى ودفع وشىء خير من لاشىء : هؤلاء يرهبون إنجلترا ويخشونها .

٢٤ - العجيب أنهم لا يستطيعون النظر إلى مشروع المعاهدة مثلا بدون أن يجعلوا الاتجاهاتهم الخاصة أثرا فى ذلك سيما فيما يتعلق بالحكم نفسه وهكذا لا تبرأ القضية الوطنية من الغرض .ومن اللون الحزبى الضيق فالذين فى الحكم يقبلونها لأنها تمكنهم من البقاء والذين فى خارج الحكم يرفضونها لأنها لم تتم على أيديهم وبذلك لا تستطيع أن تسمع رأيا نزيها مبرءا من قيود الحزبية أو الغاية .

٢٥ ـ من نتائج الاحتلال وآثاره أن مثلنا العليا هوت إلى الحضيض وانتشرت تبعا لذلك أساليب عجيبة ، أفساد الذمم ونشر النفعية والجاسوسية وتلويث الشرفاء وتمزيق الأعلام وتحطيم أقدار الرجال فالأحزاب يتهم بعضهم بعضا بالرشوة وكل سياسى طامع فى الحكم .

وفى هذا المعنى كتبت أخبار اليوم فى ٢٧ - ١٢ -١٩٤٦ تقول

. . .لقد كان الرأى العام يصدق فيما مضى أقوال ساسته وزعمائه يوم كان يؤمن بهم أما الآن فإن التهم التى يتبادلها هؤلاء الزعماء والساسه أصبحت مسألة عادية .أبطال الأمس هم خونة اليوم وخونة الأمس هم زعماء الوطنية فى الغدا القريب .

٢٦ ـ تعقد المعاهدات للشعوب لا للحكومات ، ولذلك يجب ألا تستعمل أساليب الطغاه فى إرغام الأمة على قبول معاهدة لا ترضاها والعجيب أن معارضى المعاهدة يتهمون بأنهم شيوعيين مرة وراسماليين مرة أخرى .

وحقيقة واحدة يجب الا تغيب عن البال أبدا هو أن سوابق الإنجليز وتجاربنا معهم لا تدعوا إلى الثقة فلقد عودونا دائما الخبث والخداع وسلب الحقوق .

٢٧ ـ(١) أن إنجلترا تنهج فى سياستها نهجين مختلفين فى علاقاتها مع مصر وتركيا وهى تؤيد تركيا حين ترفض إشتراك روسيا فى الدفاع عن المطالبه وتكره مصر على النزول لها على حماية القناة .

٢٨ ـ (٢) الطريقة التى تقدم بها إنجلترا هذه المعاهدات طريقة ضارة بالحياة الدستورية بل وبالمعاهدة نفسها فذلك الجو القاتم الذى تعرض فيه المعاهدة يبعث فى النفوس أثرا عكسيا سيئا .

---

(١) لموند ـ باريس فى ٧ـ ١٢

(٢) زكريا باشا مهران

٢٩ ـ (١) إن لفظ (المشاركة) لا يفسر تفسيراً لغوياً ولا هو ولا ألفاظ المجاورة والمتاخمة والشرق والتدابير والأعمال ، كل هذه التراكيب تفسر بلغة السياسة وضرورات التحالف بين مصر وإنجلترا تحالفاً مقصوراً به سد الفراغ فى الدفاع الإنجليزى ومن موقف إنجلترا من دول معينة تخشاها ، اجتماعيا وحربيا .

٣٠ ـ راجعت إنجلترا نفسها بعد الحرب فوجدت أن هناك فراغا يجب سده فى معاهدة ٣٦ فأسرعت بقبول تعديل تلك المعاهدة ، إذ أصبحت غير مرغوب فيها لأنها لاتلزم مصر بالحرب إذا اعتدى عليها اعتداء ، وبالمعاهدة الجديدة تتخذ انجلترا منها وسيلة لبسط نوع من السيادة الخفية على شعوب الشرق الأوسط متخذه مصر كمخلب قط فى تلك الخطة الماهرة .

٣١ ـ المستعمر يسعى من وراء الاستعمار إلى غرضين : احتلال المرافق الحربية والنقط الاستراتيجية والثانية غرض اقتصادى هو الحصول على المواد الأولية اللازمة لصناعته وكسب أسواق البلاد المستعمرة .

٣٢ ـ معاهدة ٤٦ كمعاهدة ٣٦ يدعم بها الاحتلال مع فارقين (١) الأول ظاهر بنص صريح مستتر مستفاد من طبيعة العمل للدفاع عن مصر (٢) فى المعاهده الاولى بنفقات يقوم بها الانجليز وفى الثانية بنفقات يقوم بها الانجليز والمصريون .

٣٣ ـ يقتضى انعقاد مجلس الدفاع المشترك من تلقاء نفسه كلما دعت الاحداث فى الشرق الأوسط أو هددته الأخطار ، وفى هذا تقبل مصر إشتراك الانجليز فى الدفاع عنها ، وتسلم للانجليز باشتراكها فى الدفاع عن

---

(١) زكريا باشا مهران (٩ ـ ١ ـ ١٩٤٦) الأهرام

البلاد المتاخمة لمصر وتلزم بالتآزر فى الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط ، وتبقى لذلك المؤسسات الانجليزية الحربية والصناعية المتصلة بشؤن الحرب قائمة وتبقى فيها حراستها وخبراؤها العسكريون لتكون متأهبه لاستقبال الجيوش عند الاقتضاء وفى هذا ما فيه .

٣٤ ـ مسألة الجلاء لا تتعدى أن تكون وعدا ، إذ أنه يتم على مراحل وخلال ثلاث سنوات . ويعود الجنود الانجليز إلى مصر فى الظروف التى تقرها لجنة الدفاع المشترك . والجلاء مع ذلك حق ثابت لنا ، لا يجوز مطلقا أن يرتبط بتحالف عسكرى أو يكون فى مقابل هذا التحالف أو يشرط به .

٣٥ ـ شرط التحالف أن يكون اختياريا لا اجباريا ، وإلا كان نوعا من الحمايه السافره يتعارض مع الاستقلال ويصبح مظهراً من مظاهر الحكم ، ذلك لان انجلترا دولة كثير الأعداء متعددة المشاكل فمن الخطأ أن ترتبط مصر بها إرتباطاً يفرض عليها لتقديم ابنائها فى كل نزاع عالمى محتمل .

٣٦ ـ (١) أخطر وأهم مافى (بروتوكول السودان) هو انه ينص على استمرار سريان اتفاقية ١٨٩٩ إلى أن يتسنى لمصر وانجلترا الاتفاق ، فالمعاهده إقرار صريح لهذه المعاهدة وقبول لسريانها لمدة محدودة ولا نهاية لها إلا بالاتفاق التام بين مصر وانجلترا ، وهذا معناد صراحه فصل السودان عن مصر عملا وحكما . لأن هذه الاتفاقية خولت لانجلترا حق الاشتراك فى إدارة شؤون الحكم فى السودان ورفع العلم الانجليزى إلى جانب العلم المصرى فى كافة إرجائه ، وحصر سلطة الحاكم فى يد الحاكم العام

---

(١) الاستاذ عبد الرحمن الرافعى

فإقرار هذه الإتفاقية الباطلة هو ولا شك نزول عن نصف المملكة وتوكيد لوضع غير مشروع بفصم عرى الوحدة بين مصر والسودان .

٣٧ ـ (١) لا يحق للحكومة أن تقرر مصير البلاد ولمدة عشرين سنة دون الرجوع إلى الأمة ، فالامة هى التى تحتمل الالتزامات والتعهدات والنتائج التى تفرضها عليها المعاهدة فمن حقها أن تكون هى المرجع الاخير فى تقرير مصيرها .

وليس من الانصاف فى شيء أن يقال عن مجلس النواب الحالى الذى انتخب سنة ٩٤٥ فى ظل الأحكام العرفية وقبل أن تتمخض نهاية الحرب عن أحداث وتطورات دولية هامة أن يمثل الأمة فى تقرير مصيرها وليس فى الأفق ما يدل على أن الحكومة تترك الحرية الكاملة لأعضاء البرلمان فى ابداء الرأى فى المعاهدة ، بل هناك شيء من التوجيه المقرون بضغط معنوى نحو إبرامها .

(١) الاستاذ عبد الرحمن الرافعى

نقط الارتباط فى المفاوضات

(١) توقيع معاهدة تربط مصر إلى انجلترا بمطالب والتزامات ، وتشمل محالفة عسكرية داخل حدود مصر وخارج حدودها .

(٢) المواصلات والموانى وقناة السويس والمطارات تعرض لسيطرة انجلترا فى الحرب وبعد الحرب .

(٣) بقاء الجيوش الانجليزية فى الأراضى المصرية فى السلم حول ضفة القناة كما فى معاهدة ٣٦

(٤) التحالف العسكرى والتزامات مصر فى داخل حدود البلاد ، وفرض عدم تحالفها مع الدول المعادية لانجلترا (كما فى معاهدة سنة ٣٦) وتقديم النفس والعتاد لحروب التى تقع بين انجلترا واعدائها فى البلاد المجاورة والمتاخمة (كما فى معاهدة ٣٦) وفرض السيطرة على الجيش معناها انه لا يتقوى ويظل مرتبطا بالاسلحة الانجليزية والقيود الاستعمارية .

(٥) السودان وتقرير مصيره واعداده للحكم تحت تاج مصر أو حريته فى اختيار طريق الانفصال .

(٦) تقييد مصر بالمعاهدة الجديدة عشرين عاما ، يجعلنا خلالها مرتبطين بها فى عداءاتها وحروبها ونظل مكبلين داخليا تحت تأثير لجنة الدفاع المشترك وسلطانها فى الاشراف على ما يتعلق بالاغذية والجيش والموانى وغير ذلك وما يتبعه من قيود اخرى تنال الصحافة والحريات والهيئات والاجتماعات .

(٧) عدم تقدير الدول الكبرى للمعاهدات وعدم احترامها وتوقفها عن التقيد بالتزاماتها فتكون بهذه الصفة صك بيرم لينفذه الضعيف ومعاهدة ٣٦ خير شاهد على أن انجلترا ألزمتنا بتنفيذها بنصها وروحها وحروفها، وتجاوزنا هذا الالتزام إلى أبعد حدوده في حين أنها هي لم تتقيد بالتزاماتها حتى اعتبرت في بعض المواقف معتدية على نصوص المعاهدة وخارقة لها

(٨) يتطور التاريخ دائما فيأتي يوم يتنصل فيه الذين امضوا معاهدة ٦٥ ع كما فعل الذين امضوا معاهدة ٣٦ من تبعاتها الجسام

الهدف الاستعمارى

فى مشروع معاهدة ١٩٤٦

« ملخصة عن كلمة للأستاذ الكبير
الرافعى بك » (١)
جريدة الأهرام ٨ — ١٢ — ١٩٤٦

(١) المعاهدة غير متسقة مع الأوضاع الدولية الحديثة ، بل هى مناقضة لهذه الأوضاع وتتعارض معها

(٢) تقوم المعاهدة على الأوضاع القديمة التى تعرض فيها سيطرة الأقوياء على الأمم المتوسطة والصغيرة واقتسام العالم مناطق نفوذ بين الدول القوية

(٣) تعلق الجلاء على قبول مصر محالفة عسكرية بينها وبين انجلترا بالذات يجعلها تبعا لها فيما تؤدى إليه سياستها من حروب مع مصر والبلاد المتاخمة

(٤) الجلاء حق معترف به من الجميع ، وموعود به من انجلترا أكثر من ستين مرة بلا قيد ولا شرط

(٥) فى المعاهدة إقرار لاتفاقية ١٨٩٩ التى هى أساس فصل السودان عن مصر والتمكين لانجلترا لاتخاذه مستعمرة تحت أسماء وبأشكال متنوعة

(٦) توضع الحماية فى شكل محالفات ثنائية تربط الدولة الضعيفة بالدولة التى لها فيها مطامع ، والمحالفات الثنائية بين دولة قوية ودولة ضعيفة هى سبيل سيطرة الأولى على الثانية ، وإذا كان هذا هو الغرض من المحالفة فلماذا تصر عليها انجلترا وتريد أن تجعلها ثمنا للجلاء أو للوعد بالجلاء

(٧) فكرة الاستعمار لاتزال قائمة عند انجلترا لأنها تضع فى المعاهدة

---

(١) سعادة الرافعى بك من المجاهدين الأبرار ، وكلمته هذه عن معاهدة ١٩٤٦ من أوفى وأخلص وأصرح ما نشر عنها فى الصحف المصرية جميعا

شروطا وأحكاما تضمن لها بسط نفوذها على الشرق الأوسط فضلا عن إصرارها على سريان اتفاقية ١٨٩٩

(٨) الاستعمار السياسى يتمشى فى نصوص المعاهدة

(٩) الاستعمار الاقتصادى لايزال قائما ، والارصدة الاسترلينية التى لنا على انجلترا هى أشد وأقوى من هذه الوسيلة التى تمثل فرضا إجباريا فرضته انجلترا القوية الغنية على مصر الفقيرة الضعيفة

(١٠) أخطأ جمهرة السياسيين فى مصر إذ قبلوا هذه المعاهدة فى حينها، ولكنه ليس معنى هذا أن يسمح لفريق آخر من الساسة أنفسهم أن يقعوا فى الخطأ الذى وقعوا فيه أول مرة وما معاهدة ١٩٤٦ إلا من نوع معاهدة ١٩٣٦

(١١) كلتاهما تهدد الاستقلال الحقيقى وتهدر وحدة وادى النيل

(١٢) معاهدة ٣٦ وليدة القوة والاكراه فهى باطلة وبطلانها تؤيده الأوضاع الدولية الحديثة وقد صرح (بيفن) فى مارس أن المعاهدات والاتفاقات التى تعقد فى ظل القوات الأجنبية تعتبر وليدة الضغط والاكراه قال ذلك بالنسبة لايران وهو قول صحيح بالنسبة إلى مصر أيضا

(١٣) إذا انتهت المدة المحددة للجلاء فمن يضمن أن لاتستند انجلترا إلى المادة الثانية أو الثالثة منها لتبقى قواتها حتى يزول اضطراب الموقف الدولى أو تزول الأحداث التى قد تهدد أمن الشرق الأوسط

(١٤) إذهبوا إلى منطقة فايد الواقعة على مسافة ٩٠ ميلا شرقى القاهرة وعشرين ميلا جنوبى الاسماعيلية وانظروا إلى تصميم المنشئات التى يقيمها الانجليز هناك وعندئذ تستطيعوا أن تطمئنوا أولا لاتطمئنوا إلى هذا الوعد بالجلاء

(١٥) الجلاء الحقيقى فى المعاهدة غير موجود ، ولكنه وعد بالجلاء

مؤجل إلى سبتمبر ١٩٤٩ ومعلق على محالفه عسكرية فيها من النصوص مايسمح لانجلترا إما بتأخير موعد الجلاء وإما بنقضه إذا تم ، وليس هذا هو الجلاء الذى قبلته انجلترا بالنسبة إلى سوريا ولبنان إذ قبلته بغير اشتراط وتحالف عسكرى معهما

(١٦) أما القول بأنه لايجوز لنا أن نتشكك فى وطنية أعضاء لجنة الدفاع المشركه فهو قول لاينهض حجة للدفاع عن الحق لأن طبيعة التحالف العسكرى بين دولة كبيرة ودولة صغيره يجعل الرأى الذى تبديه الدولة الحليفة الكبرى له قيمته فى الميزان ، لأنها بداهة تؤيد رأيها بقواتها الحربية أولا ثم بدعواها أنها أقدر على اختيار وسائل الدفاع ومعرفة العناصر التى يتولد منها خطر الحرب ا. ه

خاتمة

من كل هذه الدراسات نعلم ونعتقد ونؤمن بأن المفاوضات وسيلة غير سليمة لحصول الأمم على حقوقها، وأنها أسلوب الضعف الذى يلجأ إليه الزعماء الذين وقذهم الترف فاقصاهم عن الأمة فى ابراج العاج وضعفت أرواحهم عن قيادة الأمة إلى الكفاح فى سبيل حقوقها والاكتفاء باستجداءها على موائد المفاوضات

ولقد كان من شر ما ابتلينا به بعد ثورة ١٩١٩ أن هدف زعماء مابعد الثورة إلى قبول التفاهم والمفاوضة والمساومه كما فصلنا فى كتبنا (١) المتتالية وها نحن قد قتلنا ربع قرن من عمر هذا الوطن فى الألوان المتضاربة من المناوات العجيبة والمساومات الغريبة

وقد حرص الانجليز خلال هذه السنوات الطوال على محاولة الزامنا بقبول رغبات خاصة، وارغامنا على الاستجابة لمطالب معينة تتفق مع رعاية مصالحهم وتنفيذ مطالبهم وأقرار رغباتهم مهما تلونت هذه الرغبات فى صور منوعة ومشاريع معاهدات مختلفة، وقد كانت انجلترا تبغى أولا إلى أن تجعل احتلالها لمصر شرعيا وقد تمكنت من ذلك بعقد معاهده ٣٦ وهى اليوم تحاول أن تسوقنا إلى جريمة أخرى مشابهة لسابقتها تضمن لها استقراراً وبقاءاً إلى أمد طويل

وأن كانت الأمه قد أجمعت على رفض مشروع (صدقى - بيفن) واتجهت إلى مجال التحكيم الدولى وهو مجال قوى حيوى فى حاجة إلى نضال

---

(١) اخرجوا من بلادنا، مناورات السياسة، بين لاظوغلى والدوبارة الأحزاب السياسيه

جبار متصل نطلع به العالم على حقوقنا المشروعة ومطالبنا الصريحة لتتعرف به الأمم مدى ظلم انجلترا وتعسفها

وإن كانت هناك بعض الشائعات عن اتجاه جديد للمفاوضة فإن الأمة لن تقبل ذلك أبدا ولن ترضى عن أى مشروع من مشاريع المعاهدة إلا على أساس الجلاء الناجز الغير مقيد بقيود وكذلك وحدة وادى النيل الكاملة غير المنقوصة

أما هذه المهازل التى يسمونها مجالس دفاع مشترك وما سواها فلن ترضى عنها الأمة ولن تقبل مره أخرى أن تذل أو أن تساوم على حقوقها الطبيعية فى الحرية والوحده

وما دامت الأمه قدصممت فلن تقف أمامها أية قوه وان يردها عن إيمانها أى عدوان والله المستعان .

١٩٤٧/٣/٢٣

ابو الخطيب